د. خالد حسن جياش

تأملات إيمانية في قصة نبي الله أيوب عليه السلام

من خلال سورتي الأنبياء وص

النبي أيوب عليه السلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تأملات إيمانية في قصة نبي الله أيوب -عليه الصلاة والسلام- من خلال سورتي الأنبياء وص

تأليف

د. خالد حسن جياش

تأملات إيمانية في قصة نبي الله أيوب -عليه الصلاة والسلام- من خلال سورتي الأنبياء وص
تأليف
د. خالد حسن جياش

تأملات إيمانية

في قصة

نبي الله أيوب

– عليه الصلاة والسلام–

من خلال سورتي الأنبياء وص

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾[1].

([1])- سورة الأنبياء: آية (84).

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نعمه ويدافع نقمه ويكافئ مزيده، ونشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـــريك له، أنزل كتابه الكريم بالحجة الدامغة والبرهان الناصـــع، تبيانًا لكل شـــيءٍ وشـــفاءً لما في الصـــدور وهدىً ورحمةً للمؤمنين، ونشـــهد أن سـيدنا محمدًا عبده ورسـوله صلوات الله وسلامه عليه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، أما بعد:

فإنَّ الله تعالى يصيب عباده بمختلف أنواع الابتلاءات والمحن، وذلك لبيان الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، حيث قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]، ومن الجدير بالذكر أنّ الأنبياء من أشدّ وأكثر الناس ابتلاءً، فالمسلم يصيبه البلاء بقدر إيمانه بالله تعالى، إلا أنّ التحصين من الفتن والشهوات والخروج من الابتلاءات والمحن يكون بحرص العبد على تقوى الله. والابتلاء يعدّ من طبيعة الحياة الدنيا، لذلك فإنّ الرسل من أشد الناس بلاءً، وقد ذكر الله في كتابه العزيز العديد من قصص الأنبياء – عليهم السلام–، لتكون لنا عبرة نأخذ منها دروساً تقوي إيماننا وتهدينا إلى الصراط المستقيم، كما ورد ذلك في كتابه العزيز في سورة يوسف، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]، ومن أعظم القصص التي ذكرها الله – سبحانه وتعالى– والتي فيها عبر ودروس عظيمة نقتدي بها ونطبقها في حياتنا، هي قصة النبي " **أيوب عليه السلام** " ومدى صبره على ما ابتلاه رب العالمين من مرض حكمة منه – سبحانه وتعالى–،... ومن خلال العرض الآتي ستتضح معالم هذه القصة والتي تمثل نبراساً للمؤمن وخاصة في هذا العصر، عصر الفتن والابتلاءات، نسأل الله أن يقينا ويجنبنا شر الفتن والمحن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول

دعاء نبي اللّه أيوب - عليه الصلاة والسلام-

في سورة الأنبياء

المبحث الأول

التأملات الإيمانية في قوله تعالى(آية الدعاء)

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

[الأنبياء: ٨٣].

المطلب الأول

تفسير الآيات

أولاً: في معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾.

(الواو) حاليّة، وجملة ﴿ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ في محلّ جرّ مضاف إليه، ﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ منصوب على معنى واذكر أيوب[2]، قال ابن عباس: سمي أيوب لأنَّه آب إلى الله تعالى في كل حال[3]، ومعنى﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ أي: واذكر يا محمد أيوب – عليه السلام– وصبره[4]، ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ أي: دعاه لما ابتلى بفقد ماله وولده ومرض جسده، والنداء: نداء دعاء لأنَّ الدعاء يفتتح ب: يا رب، ونحوه[5].

ثانياً: في معنى قوله تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾.

وجملة ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ في محلّ رفع خبر أنّ، والمصدر المؤوّل ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ في محلّ جرّ بحرف جرّ محذوف هو الباء أي: بأنّي مسّني الضرّ، متعلّق بـ ﴿ نَادَىٰ ﴾، والمعنى أي: نالني في بدني وفي مالي وأهلي البلاء والشدة والجهد[6]، وقال قتادة: أي: المرض[7]، والضر بالفتح شائع في كل ضرر، وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال[8].

ثالثاً: في معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

وجملة ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ في محلّ نصب حال والرابط مقدّر أي: بي[9].

([2]) ينظر: الجدول في إعراب القرآن (17/ 59)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (3/ 401).

([3]) تفسير القرطبي (11/ 323).

([4]) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (7/ 4793)، تفسير السمرقندي (2/ 435).

([5]) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان(3/ 89)، التحرير والتنوير(23/ 268)، أيسر التفاسير للجزائري (3/ 434).

([5]) الجدول في إعراب القرآن (17/ 59).

([6]) تفسير يحيى بن سلام (1/ 333).

([6]) تفسير البيضاوي (4/ 58)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2/ 360)، تاج العروس (12/ 393).

([6]) الجدول في إعراب القرآن (17/ 59).

([7]) تفسير يحيى بن سلام (1/ 333).

([8]) تفسير البيضاوي (4/ 58)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2/ 360)، تاج العروس (12/ 393).

([9]) الجدول في إعراب القرآن (17/ 59).

والمعنى أي: أرحم من يرحم، وتقديره أيمسني الضر وأنت أرحم الراحمين، أو أنت أرحم بي أن يمسني الضر، أو قاله استقالة من ذنبه ورَغَباً إلى ربه، أو شكا ضره استعطافاً لرحمته وكشف بلائه، وصف ربه بغاية الرحمة، فكأنه قال: أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يُرحم فارحمه[10].

([10]) ينظر: تفسير السمعاني (3/ 398)، تفسير العز بن عبد السلام (2/ 333)، تفسير البيضاوي (4/ 58)، تفسير النسفي (2/ 416).

المطلب الثاني

الفوائد والإرشادات المستفادة والمستنبطة من تأمل الآية

❖ لقد كانت شكوى أيوب إلى الله – عزَّ وجلَّ– كي يعطى المعونة على رضا قلبه بما ورده من الابتلاء، وذلك أنَّ القلب إذا كان راضياً بأمر الله لم يضر العبد ما فعلت جوارحه، ألا ترى إلى بكاء النبي – صلى الله عليه وسلّم – حين مات ابنه إبراهيم كيف بكى عليه رحمة له بطبع البشرية، فلم يضره ما فعلت جوارحه؛ لأنَّ قلبه كان راضياً بالله[11].

❖ لقد تلطف نبي الله أيوب – عليه السلام– في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرّح بالمطلوب فكأنه قال: أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يُرحم فارحمه واكشف عنه الضيم الذي مسَّه، فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب[12].

❖ جمع أيوب – عليه السلام– في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، ومتى وجد المبتلى هذا كشف الله عنه بلواه[13].

❖ قوله: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ختم القصة بقوله: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾وقال في ص ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ لأنَّه بالغ (في التضرع) بقوله ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فبالغ سبحانه في الإجابة، وقال: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾لأنَّ (عند) حيث جاء دلَّ على أنَّ الله سبحانه تولى ذلك من غير واسطة، وفى ص لما بدأ القصة بقوله ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ ﴾ ختم بقوله ﴿مِّنَّا ﴾ ليكون آخر الآية ملتئماً بالأول[14].

❖ وفي قوله تعالى:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ ﴾فيه إشارة إلى أنَّ الأنبياء هم أفضل قدوة وأسوة للخلق أجمعين، ولذلك يقول الله – عزو جل–: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[الأنعام: ٩٠].

([11]) تفسير التستري (ص: 104).

([12]) ينظر: تفسير النسفي (2/ 416)، تفسير ابن جزي (2/ 27).

([13]) الفوائد لابن القيم (ص: 201).

([14]) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (1/ 321).

❖ ويستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ ﴾أنَّ الإيمان بالله يعين على الصبر، لعلم العبد أنَّ كل ما يجري له مقدر ومكتوب، وأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن يصيبه.

❖ ومن الفوائد في قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ ﴾أنَّ المؤمنين الموحدين إذا نزل بهم البلاء و المرض واشتد بهم الكرب، وعظمت المصيبة عندهم، توجهوا لله – عز و جل–، ولجأوا وتضرعوا إليه وأظهروا افتقارهم إليه بالشكوى، ولم يلجؤوا إلى غيره كاللجوء إلى الأموات، أو الغائبين، أو الكواكب، أو الجنّ، أو الجمادات، وغيرها، سواءً بالاستغاثة أو الدعاء أو الذبح أو طلب المدد أو العون من غير الله، أو غير ذلك من العبادات التي تصرف لغير الله.

❖ لقد كان دعاء أيوب– عليه السلام– استدعاء للجواب من الحق سبحانه ليسكن إليه، ولم يكن شكوى، وكيف يشكو المحب حبيبه وكل ما فعل المحبوب محبوب[15].

❖ إنَّ أيوب في هذا الدعاء لم يصرح بالمطلوب (وهو هنا الشفاء ورفع الضر) فلم يقل: يارب ارفع ضري، واكشف كربي، وأزل بلائي، ولا حتى سأل الله الشفاء مما يعانيه من أمراض وآلام، ولم يعين الضر الذي مسه وهذا منه أدب ولطف[16].

❖ ومن الأدب أيضاً أنَّ أيوب– عليه السلام– لم ينسب الضر والمرض إلى الله مع أنَّه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو– جل جلاله–، وإنَّما قال: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ ، والدرس الذي نأخذه من هذا الأدب النبوي أنه لا ينبغي للداعي أن ينسب ما أصابه من ضُرٍ أو بلاءٍ أو نصبٍ إلى الله – عز وجل– تأدباً معه سبحانه وتعالى، مع أنه قدره وكتبه[17].

❖ لم يكن قول نبي الله أيوب: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ على وجه الاعتراض بل كان على وجه إظهار العجز، ولذلك لم يكن فيه منافاة لصفة الصبر، ولذلك استخرج منه هذا القول ليكون فيه متنفّس للضعفاء في هذه الأمة، حتى إذا ضجّوا في حال البلاء لم يكن ذلك منافٍ لصفة الصبر[18].

([15]) تفسير الألوسي (9/ 103).

([18]) لطائف الإشارات (2/ 514).

❖ ودعاء أيوب هذا لم يكن منه على جهة الشكوى، وإنَّما كان من حيث الشكر ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ الذي تخصّ به أولياءك، ولولا أنك أرحم الراحمين لما خصصتني بهذا، ولكن برحمتك أهلتني لهذا[19].

❖ وأيضاً لم يكن هذا القول من نبي الله أيوب شكوى، إنَّما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، على أنَّ الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله – عز وجل– فلا يكون جزعاً ، كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾[20]، قال سفيان بن عيينة: وكذلك كل من أظهر الشكوى إلى الخلق وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً[21].

❖ وعند التأمل في دعاء أيوب – عليه السلام–: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ نجد أنَّ الجمل والكلمات قليلة!! ولكنَّ القلوب إذا دعت الله سبحانه وتعالى عن صدق، وإخلاص، ويقين، وإن قلت العبارات والكلمات، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يستجيب لها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾.

❖ ومما يستفاد من هذه الآية أنَّ الشكوى إلى الله –سبحانه وتعالى– لا تنافي الصبر؛ فإنَّ الله تعالى قال عن أيوب – عليه السلام–: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ مع إخباره عنه بالشكوى إليه، في قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ ، فما صدر من أيوب: دعاء، وإظهار فقر، وحاجة إلى ربه، لا شكوى ولا جزع[22].

❖ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ نجد أن الله خص هذا الحال بالذكر من بين أحواله؛ لأنه مظهر توكله على الله، وهو سبب استجابة الله لدعائه بكشف الضر عنه، ولذا فعلينا ألا نهمل الدعاء ولا نستكبر عنه فندخل في الوعيد المنتظر من الله سبحانه، ثم لنتأمل كرم

---

(19) لطائف الإشارات (2/ 514).

(20) سورة يوسف، آية (٨٦).

(21) تفسير البغوي – إحياء التراث (3/ 310).

(22) موسوعة التفسير، مجموعة من الباحثين، بإشراف الشيخ/ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت https://dorar.net/.

الله – جل وعلا– في قوله: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [23] فلا فاصل بين الكلمتين ولا تسويف، وفي هذا دليل على سرعة الاستجابة من الله تعالى[24].

❖ و إذا تأمَّلنا في هذا الدعاء ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ فستجد أنَّ لحظات الشكوى إلى ربك وانطراحك بين يديه وقرعك لبابه هي مفتاح السعادة، وطريق الرزق، وساعة النجاة من الآلام والمصائب، وهي ساعة الأمن والهدوء والسكينة والطمأنينة والاستقرار النفسي.

❖ ومن الفوائد أنَّ أيوب – عليه السلام– وهو في شدة بلاءه وألمه وضره أيقن برحمة الله له، وهكذا لابد أن يكون المؤمن موقناً برحمة الله، وبلطف الله، وبفرجه، فاليقين في الله وفي رحمته هو سر من أسرار الفرج، واستجابة الدعاء.

❖ ومن الإرشادات المستنبطة من دعاء أيوب أنه ينبغي للمسلم أن يعرض مشكلاته على ربه قبل أن يعرضها على الخلق، وهذا مستنبط من التأمل في قصة هذا النبي العظيم(أيوب) وهو يرسل تلك الشكوى وتلك الأنَّات وتلك المناداة والمناجاة لربه .. ولذلك لابد أن تسأل نفسك كم مرة سمع ربّك شكواك؟ منادتك له؟ بكائك بين يديه؟ تبوح له بألمك؟ بحالك؟ بواقعك؟ هل جربت أن تنادي ربك بذل وخضوع وانكسار، هيا ناده خاضعاً، بث شجنك، انثر شكواك، اطلب حوائجك اعلم أنَّه لا أحد أعلم بشكواك من الله، فارفع تفاصيلها إليه، ثم ترقب الفرج.

❖ ومن خلال هذه الآيات نستفيد أنه في وقت الشدة، والابتلاء، والمرض، لابد أن نفوض أمورنا كلها لأرحم الراحمين، فهو أرحم بنا، وهو أعلم بحالنا، ولن يخذلنا! إذن فلنتوكل عليه ولنفتقر بين يديه.

❖ ومما يستفاد أيضاً أنَّ الابتلاء ليس غضباً من ربك عليك بل هو حب لك، وتطهير لذنوبك، ومحو لخطاياك، ورفع لدرجاتك، فالصبر الصبر فإن في المحنة منحة، وبعد العسر لا بد من يسر، وبعد الضيق يأتي الفرج، ألا فلتتأس بنبي الله أيوب – عليه السلام–. واسمع إلى نبي الله محمد –صلى الله عليه وسلم– وهو يقول: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير وليس ذلك

---

(23) سورة غافر، آية (٦٠).

(24) التحرير والتنوير (23/ 268).

لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[25].

❖ ومن دعاء نبي الله أيوب – عليه السلام– نستفيد أنَّه يجب على العبد أن يسأل الله وحده ولا يسأل غيره وأن يستعين به وحده ولا يستعين بغيره، وسؤال الله دون أحد من خلقه هو المتعين والواجب؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل والمسكنة والحاجة والافتقار من السائل، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على رفع الضر ونيل المطلوب وجلب النفع ودفع المكروه، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده، وأما المخلوق فهو مسكين ضعيف شحيح.

❖ من فوائد المرض: انتظار المريض للفرج، الأمر الذي يجعل العبد يتعلق قلبه بالله وحده، وخصوصاً إذا يئس المريض من الشفاء من جهة المخلوقين وحصل له الإياس منهم وتعلق قلبه بالله وحده، وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج[26].

❖ ومن فوائد المرض: أنه علامة على إرادة الله بصاحبه الخير[27]، فعن أبي هريرة–رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «من يرد الله به خيراً يصب منه»[28].

❖ ومن فوائد المرض: أن الله يستخرج به الشكر، فإن العبد إذا ابتلي بعد الصحة بالمرض، اشتاقت نفسه إلى العافية، وبالتالي تتعرض إلى نفحات الله بالدعاء، فإنه لا يرد القدر إلا الدعاء، بل ينبغي له أن يتوسل إلى الله ولا يتجلد تجلد الجاهل؛ فإن الله أمر العبد أن يسأله تكرماً، وهو يغضب إذا لم يسأله، فإذا منح الله العبد العافية وردها عليه عرف قدر تلك النعمة؛ فلهج بشكره شكر من عرف المرض وباشره وذاق آلامه، لا شكر من عرف وصفه ولم يقاسِ ألمه، فإذا نقله ربه من ضيق المرض والفقر والخوف إلى سعة الأمن والعافية والغنى، فإنه يزداد سروره وشكره ومحبته لربه.

❖ ومن فوائد المرض: معرفة العبد ذله وحاجته وفقره إلى الله، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه، فهم فقراء إليه وهو غني عنهم، ولولا أنه سُلط على العبد هذه الأمراض

---

(25) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2999)، باب المؤمن أمره كله خير، ينظر: صحيح مسلم (4/ 2295).

(26) الآيات الكونية دراسة عقدية (ص: 547).

(27) الآيات الكونية دراسة عقدية (ص: 548).

(28) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (5645)، باب ما جاء في كفارة المرض، ينظر: صحيح البخاري (7/ 115).

لنسي نفسه، فجعله ربه يمرض ويحتاج، لتظهر بذلك عبوديته لربه، وفي الأمراض من الحِكم والأسرار ما لا يعمله إلا الله تعالى.

❖ ومن الفوائد أيضاً أنَّ من آداب الدعاء التي شرعها الله سبحانه وتعالى، الإلحاح بالدعاء والضراعة بين يدي الله سبحانه وتعالى؛ فإن المتضرع بين يدي الله سبحانه وتعالى والملح بدعائه على ربه، لا يمكن أن يُرد، وقد صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال :«ثلاث دعوات مستجابات أقسم عليهن: دعوة المسافر حتى يعود، ودعوة الوالد على ولده، ودعوة المظلوم »[29]؛ فهذه الدعوات الثلاث يقسم عليهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنهن مستجابات لا ترد.

❖ ومما يستنبط أيضاً أن الابتلاءات والمحن تستخرج منك جوانب من جوانب العبودية، لا تفعلها وقت رخائك ووقت يسارك، وإن الابتلاءات والمحن تستخرج منك دعوات مباركات كما استخرجت من أيوب — عليه السلام– إنَّ هذه الابتلاءات تستخرج منك دعوات لا تستشعر لها طعماً ولا تذوق لها حلاوة إلا عند البلاء، تستخرج منك دعوة كتلك التي دعا بها أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:83]، وكالتي دعا بها نوح عليه السلام: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر:10] لاحظ أن هذه الدعوات لم تخرج إلا مع عظيم الألم وشدة البلاء، ولذلك استخرجت هذه الدعوات أنواعاً من العبودية كالخضوع لله، وكالانخبات إليه، وكحسن التضرع واللجوء، وهذه لا تستخرج في وقت الرخاء واليسار.

❖ ومما يستنبط أيضاً أنَّ القلوب يخالطها بغلبات الطبائع، وميل النفوس، وحكم العادة، وتزيين الشيطان، واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع الله فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى، فلو تركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحص منه، فاقتضت حكمة

---

(29) أخرجه ابن القطان في البدر المنير، الحديث السادس، وحكم عليه ابن القطان بأنه معلول ، ينظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (5/153)، وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير من حديث أبي هريرة ، برقم (75)، وحكم عليه بأن فيه إبراهيم بن يزيد عن الأوزاعي وفي حديثه وهم وغلط، ينظر: كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي (1/72).

العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده، وإلا خيف عليه منه الفساد والهلاك[30].

❖ ومما يستنبط من قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أنَّ من آداب الدعاء، التوجه إلى الله – عز وجل – بأحد أسمائه أو صفاته المناسبة لحال الداعي أو طبيعة الطلب فإنَّ ذلك أبلغ في الدعاء وأسرع في الإجابة.

❖ ومن الدروس الهامة التي نستفيدها من موقف نبي الله أيوب – عليه السلام– هو أنَّ الدعاء سبب عظيم من أسباب تفريج الهموم وزوال الغموم، وانشراح الصدور، وتيسير الأمور، وفيه يناجي العبدُ ربّه، ويعترف بعجزه وتقصيره وضعفه، وفقره وحاجته إلى خالقه ومولاه، وهو سبب لدفع غضب الله تعالى لقول النبي – صلى الله عليه وسلم–: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[31] وما أحسن وأفصح قول الشاعر:

لا تسألن بني آدم حاجة *** وسلِ الذي أبوابُه لا تحجبُ

الله يغضب إن تركت سؤاله *** وبني آدم حين يسأل يغضبُ[32].

والدعاء سلاح المظلومين، ومفزع الضعفاء المكسورين المستضعفين والمقهورين إذا انقطعت بهم الأسباب، وأغلقت في وجوههم الأبواب، ولم يبق أمامهم سوى باب الكريم الوهاب، الذي ليس عليه حاجب ولا بواب، يقول الإمام الشافعي:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه *** وما تدري بما صنع الدعاءُ

سهام الليل لا تخطي ولكن *** لها أمدٌ وللأمد انقضاء[33].

فالله – تبارك وتعالى– صاحب الملك والملكوت، والعزة و الجبروت يستحيي منك "أن يرد يديك صفراً "، فعن سلمان الفارسي – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه

---

(30) زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 213)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27 , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(31) أخرجه الترمذي في سننه برقم (3373)، ينظر: سنن الترمذي ت شاكر (5/ 456).

(32) ينظر: السحر الحلال في الحكم والأمثال (ص: 14)، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال (2/ 362)، الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة (1/ 84)، والبيت من الكامل.

(33) ينظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه (3/ 56)، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (1/ 174).

وسلم- «إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»[34]، وهذا غاية الكرم و الجود منه سبحانه وتعالى.

(34) أخرجه الترمذي في سننه برقم (3556)، ينظر: سنن الترمذي ت شاكر (5/ 557).

المبحث الثاني

التأملات الإيمانية في قوله تعالى(آية الإجابة)

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

المطلب الأول

تفسير الآيات

أولاً: معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾[الأنبياء: ٨٤].

(الفاء) عاطفة (استجبنا) ماض وفاعله والجملة معطوفة على ما سبق، (له) متعلّق ب (استجبنا) «فَكَشَفْنا» ماض وفاعله والجملة معطوفة (به) متعلّق بمحذوف صلة الموصول ما (من ضرّ) متعلّق بحال من الضمير في (به)[35].

أي: شفاه الله مما كان به، ورفع ما به من شدة، وأعاضه بما ذهب عليه في بدنه وأهله وماله، وقال ابن عباس: يريد الأوجاع، ودل هذا على أن قد كان منه دعاء وسؤال في كشفه الضر عنه، فاستجاب الله دعاءه[36].

ثانياً: معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[الأنبياء: ٨٤].

والإيتاء: الإعطاء، أي أعطيناه أهله، وأهل الرجل أهل بيته وقرابته[37]. يقول أبو البقاء الحنفي: "والإيتاء: أقوى من الإعطاء، إذ لا مطاوع" [38] له، واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن: رد الله – عز وجل– إليه أهله وأولاده بأعيانهم، أحياهم الله له وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن، وقال الحسن: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده الله إليه وأهله[39]، ويرى الباحث أنَّ قول ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن، هو الراجح لدلالة ظاهر القرآن عليه ولعدم وجود دليل صحيح صريح يناقضه.

---

(35) ينظر: الجدول في إعراب القرآن (17/ 59)، إعراب القرآن للدعاس (2/ 294).

(36) ينظر: تفسير الماتريدي (7/ 368)، (8/ 633)، تفسير السمرقندي (2/ 437)، التفسير الوسيط للواحدي (3/ 247)، فتح القدير للشوكاني (3/ 495).

(37) التحرير والتنوير (17/ 128).

(38) الكليات (ص: 212).

(39) ينظر: تفسير الماوردي(3/ 464)، تفسير السمعاني(400/3)،تفسير البغوي– إحياء التراث(310/3–311).

ثالثاً: معنى قوله تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٤].

رحمة مفعول من أجله ويجوز أن يكون مصدراً لفعل مقدر أي: رحمناه رحمة والأول أرجح و﴿ مِّنْ عِندِنَا ﴾ صفة لـ(رحمة) وذكرى عطف على رحمة و(للعابدين) متعلقان بـ(ذكرى)[40]، والمعنى أي: رحمة ونعمة على أيوب وتذكرة وعظة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب، أو لرحمتنا للعابدين فإنا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم[41].

(40) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (6/ 351- 352)، إعراب القرآن للدعاس (2/ 294).

(41) ينظر: الوجيز للواحدي (ص: 722)، تفسير البيضاوي (4/ 58)، أيسر التفاسير للجزائري (3/ 434).

المطلب الثاني

الفوائد والإرشادات المستفادة والمستنبطة من تأمل الآية

❖ عند تأمل دعاء نبي الله أيوب – عليه السلام– في آية سورة الأنبياء وهو ينادي ربه، حيث يرفع شكواه إليه، فتأتيه الإجابة في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾[الأنبياء: ٨٤]، فتأمل أن نبي الله أيوب – عليه السلام – لم يكد يرتد إليه طرفه من السماء حتى جاءته البشرى، وحتى كشف الله عنه بلاءه في سرعة خاطفة كما أنبأت عنه فاء التعقيب، فإزالة كل تلك الأسقام والآلام كانت فور الضراعة له سبحانه، وتأمل دقة استعمال الكلمة القرآنية المناسبة للمقام؛ حيث استعمل الكشف في الإزالة السريعة عن طريق الاستعارة، فقد شبهت إزالة الأمراض والأضرار التي يعتاد أنها لا تزول إلا بالتدرج، أو تتعذر أصلاً إزالتها، بإزالة الغطاء عن الشيء في سرعة، ولا عجب في ذلك فإنها قدرة الذي يقول للشيء كن فيكون – سبحانه وتعالى–، ثم تأمل ما دلت عليه السين والتاء من المبالغة في سرعة إجابة دعاء أيوب – عليه السلام–، وكذلك إذا تأملنا في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾[الأنبياء: ٨٤]نلاحظ كيف كان الالتفات من الغائب إلى المتكلم، للدلالة على عظمة الاستجابة، ومكانة الداعي عليه السلام[42].

❖ مما يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾[الأنبياء: ٨٤] أن على الانسان ألا يحمل همّ الإجابة ولكن يحمل همّ الدعاء، فالاستجابة مضمونة ووفاء الوعد من الله سبحانه مضمون، ولكن غير المضمون هو أن يكون الدعاء مستجمعاً لشروطه، وأن تكون الموانع التي تمنع من الاستجابة منتفية عنه، ولذلك ادع وتيقن الإجابة. فإنك تدعو من بيده ملكوت السماوات والأرض، أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، أعطى عبده قبل أن يسأله فوق ما يؤمله، يشكر القليل من العمل وينميه، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩] لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغالطه كثرة المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين، بل يحب الملحين في الدعاء ويحب أن يسأل ويغضب إذا لم يسأل.

([42]) ينظر: التحرير والتنوير (17/ 127).

❖ ومما يستنبط عند التأمل في دعاء الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم ومنهم نبي الله أيوب – عليه السلام– أن الله قد استجاب كل دعائهم ولم يخذل أحداً من عباده، فما هو السرّ؟

ذلك أن الله تعالى بعدما ذكر دعاء أنبيائه واستجابته لهم، قال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، فسارع بالخيرات، وادع ربَّك في الرجاء والخوف، وما بين الرغبة والرهبة، وكن خاشعاً لله في دعائك وفي جميع أحوالك، يستجيب الله لك الدعاء.

❖ وعند تدبر قوله تعالى ﴿مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ نجد الابهام في الاسم الموصول (ما)، ثم الايضاح بين (من) البيانية، وذلك لقصد تفخيم الضر وتهويله لكثرة أنواعه، واختلاف أشكاله، وهذا يدل على أن كل أذى التصق به كما تدل الباء أو لحق بجسده أو نفسه وماله قد أزاله الله تعالى، حيث أعيدت إليه صحته، ورزق أولاداً بعدد من ماتوا ورد الله عليه أمواله، ورد عليه أهله ومحبيه الذين نفروا منه بسبب طول مرضه، وهذا تجده في قوله سبحانه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[الأنبياء: ٨٤] [43].

❖ ومما يستنبط أيضاً، من قصة نبي الله أيوب – عليه السلام– أنه في آية سورة الأنبياء قال ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ وهذا من تلطفه في سؤاله، فلم يفصح – عليه السلام– عن عظيم ما أصابه من البلاء تلطفاً وتضرعاً، بينما في سورة ص أفصح عن هذه البلوى بقوله: ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41]، فبنى كل (من الآيتين) على ما يناسبه، فقيل جواباً على عظيم تضرعه وتلطفه في قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ ما يلائم لطيف هذه الشكوى، وعلى قوله: ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ما يناسب إفصاحه بهذه البلوى، فقيل بناءً على الأول: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾[الأنبياء: 84]، وقيل بناءً على الثانية:﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾، لما وقع ذكر الشيطان، وأنه السبب في ذلك الامتحان، كان الجواب باستعمال سبب فقيل له: اركض برجلك واغتسل وذلك يذهب عنك ما مسك به الشيطان، وحين لم يذكر، – عليه السلام–، واسطة كان الجواب برفع ما به بغير واسطة سبب، فقيل جواباً لقوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا

(43) ينظر: التحرير والتنوير (17/ 127).

﴿ مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ وبني على الأول قوله: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ لتمكن (عند) فيما قصد، وعلى الثاني: ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ إذ ليس موقعها موقع ﴿ مِّنْ عِندِنَا ﴾ ، ثم قيل في الأولى: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ مناسبة لما تقدم، وقيل في الثانية: ﴿ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ مناسبة أيضاً، إذ اعتبار أولي الألباب يورثهم مقام العابدين، وهو أسنى مقام، وكل ذلك يعد مقامات عليَّه وأوسمة جليلة، وقد جرى مع (كل) مقام ما يناسبه، ووضح أن كلاً من هذه المبينات على ما قبلها لا يناسبه غير ما بني عليه، والله أعلم[44].

❖ ومن الدروس المستفادة من قصة نبي الله أيوب – عليه السلام– وما أصابه من البلاء ودعاءه ربه في كشف ما نزل به، واستجابته تعالى دعاءه وما امتن به عليه في رفع البلاء. وما ضاعف له بعد صبره من النعماء، لنعلم أن النصر مع الصبر، وأنَّ عاقبة العسر اليسر. وأن لك الأسوة بمثل هذا النبيّ الصبور، فيما ينزل أحياناً بك من ضرّ. وأن البلاء لم ينج منه الأنبياء. بل هم أشد الناس بلاءً[45].

❖ ومما يستنبط أيضاً أنه في اللحظة التي توجه فيها أيوب — عليه السلام– بدعائه إلى ربه بتلك الثقة المطلقة وبذلك الأدب الجم الذي سجله القرآن، كانت نتيجة تلك الثقة وذلك الأدب هي الاستجابة، والرحمة، ونهاية الابتلاء .

❖ في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ فيه تنبيه على أنَّ من صبر ظفر، فالله تعالى يمن على العبد بأكثر مما فقد إذا صبر واحتسب؛ لأن أيوب –عليه الصلاة والسلام– وهب الله له أهله ومثلهم معهم، فاصبر تظفر[47].

---

(44) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل(ص:350)، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(45) تفسير القاسمي (7/ 213).

(47) موسوعة التفسير، مجموعة من الباحثين، بإشراف الشيخ/ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت https://dorar.net/.

❖ وفي قوله تعالى: ﴿ وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾ إشارة لها مغزاها. فالعابدون معرضون للابتلاء والبلاء. وتلك تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة وتكاليف الإيمان، فلا بد من تمحيص هؤلاء العابدين بتلك الآلام والمصاعب لتشتد أعوادهم، ولتقوى ظهورهم، ولتصفو قلوبهم لحمل أمانة العقيدة وتكاليفها، فلا بد من الامتحان والبلاء ولا بد من الصبر الجميل، ليستطيع هؤلاء حمل لواء الإيمان، وأحسب أنَّ تلك الإشارة أو الخاتمة بما تحمله من هذا المضمون لها ارتباط وثيق بسياق سورة الأنبياء التي ورد فيها جانب من تسلية الرسول – صلى الله عليه وسلم – لما انتابه من غم وحزن لتكذيب قومه دعوته وتعرضه للإيذاء على أيديهم، فذِكر قصة أيوب فيها شحذ لهمته – صلى الله عليه وسلم– في الدعوة، وتحفيز له للصبر على الأذى والبلاء، وهذا أدخل في باب التسرية عنه – صلى الله عليه وسلم – وتسليته. والله أعلم .

❖ ومما يستفاد من الآيات أنَّ أنبياء الله وأصفيائه يبتلون بالضرّ، كما يبتلى الناس، بل وكما يبتلى شرار الناس.. وإنه كما يبتلى الناس بالخير والشرّ، كذلك يبتلى الأنبياء بالخير والشر.

❖ ومن الفوائد أيضاً أنَّ أنبياء الله وأصفيائه، يبتلون من الله فيزدادون إيماناً وقرباً منه، وطمعاً في رحمته.. وأعداء الله يبتلون فيزدادون بعداً من الله، وكفراً به، ومحادّةً له.

❖ ومن الفوائد أنَّ أيوب – عليه السلام– في لحظة البلاء والشدة لم يستبدّ به الجزع، ولم تستول عليه الحيرة، ولم تحرقه أنفاس الضيق والألم.. بل ظلّ مجتمع النفس، ساكن الفؤاد، رطب اللسان بذكر الله.. فلما اشتد به الكرب، وأرهقه البلاء، وأراد أن يشكو لربّه ما يجد، لم يزد على أن يقول بلسان رطب بالصبر، وبأنفاس نديّة بالإيمان: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 83] [49].

❖ إنَّ من رحمة الله وكرمه وعظيم لطفه، أن يجزي المحسنين الصابرين.. كما يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: 10] .. فلقد كشف الله عن أيوب الضر الذي أصابه في جسده، ورزقه من البنين والأموال ضعف الذي ذهب منه[50].

---

(49) التفسير القرآني للقرآن (9/ 934).

(50) التفسير القرآني للقرآن (9/ 934).

❖ وفي قوله تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾....لطيفة وهي أنَّ نبي الله أيوب – عليه السلام- قد رحمه خلق كثير لكن لم تنفعه إلا رحمة الرحيم الرحمن.

❖ وعندما تتأمل هذه الآيات تجد أنَّ الله – سبحانه- لايكشف الضر فحسب؛ بل يسبغ نعمه وفضله رحمةً وإحساناً انظر إلى قوله: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾[الأنبياء: ٨٤].

❖ وفي قوله تعالى: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ أنَّ الله لما ذكر بلاء أيوب – عليه السلام- ختم الآية بـ قوله ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ والحكمة في ذلك لئلا يتوهم العابدون أننا إنما نبتليهم لهوانهم علينا(51).

❖ وفي قوله تعالى: ﴿ مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 83] نلاحظ أنَّه ومع شدة البلاء، وحلول الضراء، لكننا نجد ونلمس آثار رحمة الله في ذروة البأساء والضراء، فلا يوجد بلاء وشدة وبؤس إلا ويتخلله الرحمة والسكينة والأمن والطمأنينة، فسبحانك يا رحمن.

❖ ويستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ أنَّ من ثمرات العمل الصالح، تفريج الهموم، وكشف الغموم والكربات، وأنَّه سبب لقضاء الحاجات، وإجابة الدعوات ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [الأنبياء: 90]، ومن أهم الاعمال الصالحة التي كان نبي الله أيوب – عليه السلام- يكثر منها في وقت البلاء: الدعاء والصبر وكثرة ذكر الله تعالى.

❖ ومما يستنبط من الآيات أنَّ الدعاء عبادة سهلة ميسورة، مطلقة غير مقيدة أصلاً بزمان ولا مكان ولا حال، فهي في الليل والنهار، وفي البر والبحر والجو، والسفر والحضر، وحال الغنى والفقر، والمرض والصحة، والسر والعلانية، وكم من بلاء ردّ بسبب الدعاء وكم من مصيبة كشفها الله بالدعاء وكم من ذنب ومعصية غفرها الله بالدعاء، وكم من رحمة ونعمة استجلبت بسبب الدعاء، وكم من عز ونصر وتمكين ورفع درجات في الدنيا والآخرة حُصل بالدعاء.

❖ ومن الفوائد التي تستفاد من تدبر هذه الآيات، أنَّ الإكثار من الدعاء لله تعالى والتوجه إليه في كل وقت، يزيد الإيمان ويقويه، ويزيد في المعرفة بالله، ويحي القلوب، وهذا الأمر مجرب يعرفه من وقع في مشكلة فاضطره ذلك إلى الالتجاء إلى الله، والرغبة إليه، والانطراح بين يديه،

(51) ينظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 363).

والتملق له، والدعاء ينمي الفطرة ويصقلها، ويجعل القلب متعلقاً بالله، محباً راغباً راهباً، والدعاء يفتح للعبد باباً عظيماً من لذيذ المناجاة، وحلاوة الإيمان، وبشاشته، وبرد اليقين، وطمأنينة النفس، مما هو أحب إليه من تلك الحوائج التي يقصده لأجلها.

الفصل الثاني

دعاء نبي الله أيوب – عليه الصلاة والسلام- في سورة ص

المبحث الأول

التأملات الإيمانية في قوله تعالى(آية الدعاء)

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ [سورة ص:41]..

المطلب الأول

تفسير الآيات

أولاً: معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾.

﴿ عَبۡدَنَآ ﴾ منصوب بوقوع الفعل عليه، و﴿ أَيُّوبَ ﴾ بدل من ﴿ عَبۡدَنَآ ﴾؛ لأنَّ أيوب هو الاسم الخاص، والاسم الخاص لا يكون نعتاً إنما يكون بدلاً مبنياً[52]، والمعنى أي: (واذكر) أيضاً يا محمد عبدنا أيوب إذ دعى ربه مستغيثاً به فيما نزل به من البلاء[53].

ثانياً: معنى قوله تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾.

والنُّصْبُ: الشَّرُّ والمرض والوجع[54]، وتنوين ﴿ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ للتعظيم أو للنوعية، وعدل عن تعريفهما لأنهما معلومان لله[55]، فهو يشكو إلى الله تعالى ما يلحقه من أذى الشيطان بوسوسته إليه، وفنون احتياله عليه، ليضيق صدره بما أصابه فينقص حمده وشكره، والمعنى: مسني الشيطان بوسواس سبَّب لي نصباً وعذاباً [56].

(52) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (4/ 334)، إعراب القرآن للنحاس (3/ 312).

(53) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (3/ 647)، تفسير الطبري ت شاكر (21/ 209).

(54) ينظر: معجم ديوان الأدب (1/ 149)، لسان العرب (1/ 758).

(55) التحرير والتنوير (23/ 270).

(56) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل (1/ 910)، التحرير والتنوير (23/ 270).

المطلب الثاني

الفوائد المستفادة من الآيات

❖ في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ بيان أنَّ الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً، إذ لو كان الأنبياء يدفعون عن أنفسهم الضرر، كان نبي الله أيوب — عليه السلام– قد دفع عن نفسه ذلك الضر، لكن لا يملكون ذلك، الذي يملك الضر والنفع هو الله سبحانه، وهم لا يملكون شيئاً من خصائص الربوبية والألوهية، ولا يملكون شيئاً من خزائن الله – جل جلاله –، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.. لكنهم قدوة البشر في الإيمان، والطاعة، والعبادة، والعمل الصالح، والخلق الحسن[57].

❖ تأمل وتدبر أدب الدعاء الأيوبي حيث نسب أيوب ما نزل به من نصب وعذاب وضر إلى الشيطان، وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدباً معه تبارك وتعالى.

❖ وفي إسقاط أيوب – عليه السلام– لأداة النداء تقرب إلى الله وتزلف إليه، إذ يُلحظ أنَّ جميع دعاء الأنبياء في القرآن خلى من حرف النداء وما ذلك إلا لإيمانهم – عليهم السلام– بقرب الله – عز وجل– منهم قرباً لا يُحتاج معه إلا حرف النداء، وإما تنزيهاً وإجلالاً لله – عز وجل– من أن يُنزل اسمه – عز وجل– منزلة المفعول به؛ لأنَّ المنادى في محل نصب مفعول به كما هو معلوم.

❖ ومما يستفاد من تدبر هذه الآية أنَّ أنبياء الله وأصفياءه، إذا ابتلوا في شيء من أنفسهم أو أموالهم تضرعوا إلى الله، وبسطوا إليه أكفهم وولّوا إليه وجوههم، وطرقوا أبواب رحمته بالدعاء والرجاء.. فباتوا على أمن من كل خوف، وعلى طمع ورجاء من كل خير[58].

❖ ومن الفوائد أيضاً أنَّ الله سبحانه وتعالى، يتقبل من عباده المخلصين ما يدعونه به، فلا يقطع أمداد رحمته عنهم، ولا يخيّب رجاءهم فيه[59].

---

(57) موسوعة الفقه الإسلامي، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري (ص:195)، الناشر: بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(58) التفسير القرآني للقرآن (9/ 933).

(59) التفسير القرآني للقرآن (9/ 933).

❖ يستنبط من قوله تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ﴾ أنَّ استخدام التأكيد اللفظي في الدعاء لبيان شدة الحال والحاجة من آداب الدعاء التي استخدمها أيوب – عليه السلام– وهو من باب الإلحاح على الله في الدعاء.

❖ في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ جواز التوسل إلى الله تعالى بحال العبد؛ لأن أيوب – عليه الصلاة والسلام– توسل إلى الله تعالى بحاله، وهو أنه مسَّه الشيطان بنصب وعذاب، ونظير هذا قول موسى – عليه السلام–: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص: 24]، فتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله، وأنه فقير إلى الله – سبحانه وتعالى–، وهذا أحد أنواع التوسل الجائز(60).

❖ ومما يستفاد من قصة نبي الله أيوب — عليه السلام– أنَّ البلايا والمحن للمؤمن تطهير وتزكية، ومنح وعطية: قال الله –تعالى–: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: 155]. وقال –صلى الله عليه وسلم–: «من يرد الله به خيراً يصب منه» (61). وقال –صلى الله عليه وسلم–: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» (62).

❖ ومن الفوائد أيضاً أنَّ البلايا والمحن تزهِّد في الدنيا وترغب في الآخرة، وهكذا الطريق إلى الجنة: قال الله –تعالى–: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ ﴾ [البقرة: 214]. وقال –صلى الله عليه وسلم–: «ينادي مناد: إنَّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا

---

(60) موسوعة الفقه الإسلامي، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري (ص:195)، الناشر: بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(61) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (5645)، باب ما جاء في كفارة المرض، ينظر: صحيح البخاري (7/ 115).

(62) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (5645)، باب ما جاء في كفارة المرض، ينظر: صحيح البخاري (7/ 115).

تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»[63]، فذلك قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43].

❖ ومما يستفاد من قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ أنَّ عداوة إبليس لعباد الله تعالى دائمة، وأنَّه ينصب العداء لكل من يطلب وجه الله تعالى في عبادته، وقد تعرَّض رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم- لمحاولة من إبليس لإشغاله عن الصلاة، حيث قال لأصحابه ذاتَ يومٍ: «إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة – أو كلمةً نحوها – ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]، فرددته خاسئاً»[64].

❖ ونستفيد أيضاً من تدبر هذه الآيات أنَّ الابتلاءُ قدر الصالحين، فليس البلاء علامة على هوان العبد على ربه، فالامتحان من الله تعالى للمسلم ليس انتقاماً أو تعذيباً بل هو تكفير للذنوب، ورفعٌ للمنزلة، كما قال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «من يرد الله به خيراً يصب منه»[65]، وسأله سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: يا رسولَ الله أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ فقال – صلَّى الله عليه وسلَّم-: «الأنبياءُ، ثمَّ الصالحون، ثمَّ الأَمثل فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حَسب دِينه، فإن كان في دينِه صلابةٌ زِيدَ في بلائِه، وفي روايةٍ: فإن كان دينُه صُلبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّة خُفِّف عنه، وفي روايةٍ: ابتُلي على حَسب دِينه، وما يَزالُ البلاءُ بالعَبد؛ حتَّى يمشي وفي روايةٍ: حتَّى يتركَه يَمشي على وجه الأرض ليس عليه خَطيئةٌ»[66].

---

(63) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٨٣٧)، باب في دوام نعيم أهل الجنة، ينظر: ص كتاب صحيح مسلم ت عبد الباقي (ص:2182).

(64) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٤٤٩)، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد ، ينظر: كتاب صحيح البخاري ت البغا (ص:176).

(65) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (5645)، باب ما جاء في كفارة المرض، ينظر: صحيح البخاري (7/ 115).

(66) أخرجه أحمد في مسنده برقم (1494)، مسند أبي إسحق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ينظر: مسند أحمد ت شاكر (2/ 233).

❖ وفي قول أيوب – عليه السلام- ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ كناية لطيفة عن طلب لطف الله به ورفع النصب والعذاب عنه، بأنهما صارا مدخلاً للشيطان إلى نفسه فطلب العصمة من ذلك على نحو قول يوسف -عليه السلام-:﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣][67].

❖ قال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾، لما كان قد حصل لنبي الله أيوب – عليه السلام- نوعان من المكروه: الغم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات، والألم الشديد في الجسم- ذكر الله تعالى لفظين يدلان على ذلك، وهما: (النصب) و(العذاب)[68].

❖ وعندما نتأمل قول الله: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ نقول لكل مريض ومبتلى تذكّروا ابتلاء نبي الله أيوب – عليه السلام-، يا من ابتليتم في أنفسكم، أو أموالكم، أو أولادكم، اصبروا، واحتسبوا، فإن العوض من الله، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: 155 - 157].

فيا أيها المبتلون إنَّ الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه، وإياكم والجزع، فإنه يحبط الأجر، ويخرج المبتَلى من دائرة الصبر، يقول زين العابدين علي بن الحسين:

ألا أيها المقصود في كل حاجة **شكوت إليك الضر فارحم شكايتي

ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي ** فهب لي ذنوبي كلها واقضي حاجتي[69].

---

(67) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»(ص: 270)، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ن : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

(68) الكتاب: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (ص: 396)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(69) ثمرات الأوراق في المحاضرات (2/ 239).

❖ يستنبط من قوله تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ إنَّ من آداب الدعاء ودواعي الإجابة إظهار الداعي للضعف والخشية والخشوع فأيوب قد شرح أسباب دعائه، وعرَضَ ضعفه على القويّ؛ وإنَّ الله تعالى لا يَطلب منَّا أن نقدِّم لأسباب دعائنا، وأن نَشْرح أحوالنا وأمورنا؛ فهو يعلم السِّر وأخفى – لا يطلب ذلك إلاَّ لأجل أن يستحضر المحتاج حالة ضعفه، وأن يخشع قلبه، وتَخْضع جوارحه، ويكون منكسرًا صادقًا في دعائه، وقد كان أيوب كذلك.

المبحث الثاني

التأملات الإيمانية في قوله تعالى(آيات الإجابة)

﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

[سورة ص، آية (٤٢ – ٤٤)].

المطلب الأول

تفسير الآيات

أولاً: معنى قوله تعالى: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ ﴾.

﴿ ٱرۡكُضۡ ﴾ أمر بمعنى اضرب فاعله مستتر ﴿ بِرِجۡلِكَۖ ﴾ متعلقان باركض والجملة مقول قول محذوف[70]، والركض هو الضرب في الأرض بالرجل على جهة الإسراع[71]، والمعنى أي: قلنا له اركض برجلك، وذلك إيذان بأنَّ هذا استجابةً لدعائه[72].

ثانياً: معنى قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴾.

﴿ هَٰذَا ﴾ اسم إشارة مبتدأ ﴿ مُغۡتَسَلُۢ ﴾ خبره ﴿ بَارِدٞ ﴾ صفة لمغتسل ﴿ وَشَرَابٞ ﴾ معطوف عليه[73]، والمغْتَسَلُ: الموضعُ الذي يُغْتَسَلُ منه، والماء الذي يُغْتَسَلُ به[74]، والمعنى: فركض برجله فنبعت عين، فاغتسل منها وشرب فذهب باطن دائه وعاد إليه شبابه وجماله, وقام صحيحاً[75]، والجمهور على أنَّه نبعت له عينان، شرب من إحداهما واغتسل من الأُخرى فشفي، قال الحسن: فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً ثم ركض برجله، فنبعت عين، فشرب منها[76].

وظاهر اللفظ يدل على أنَّه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل وشرب منه، ويرى الباحث أنَّ هذا هو الصحيح لدلالة سياق النص عليه[77].

---

(70) إعراب القرآن للدعاس (3/ 125).

(71) ينظر: مجاز القرآن (2/ 185)، تفسير ابن فورك (2/ 290).

(72) التحرير والتنوير (23/ 270).

(73) إعراب القرآن للدعاس (3/ 125).

(74) المفردات في غريب القرآن (ص: 607).

(75) ينظر: تفسير الطبري ت شاكر (18/ 503)، تفسير الماوردي (3/ 463).

(76) الهداية الى بلوغ النهاية (10/ 6259).

(77) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (3/ 420)، صفوة التفاسير (3/ 55).

ووصف الماء بذلك في سياق الثناء عليه مشير إلى أنَّ ذلك الماء فيه شفاؤه إذا اغتسل به وشرب منه، ليتناسب قول الله له مع ندائه ربه لظهور أنَّ القول عقب النداء هو قول استجابة الدعاء من المدعو. ووصفه بـ(بارد) إيماء إلى أنَّ به زوال ما بأيوب من الحمى من القروح[78].

ثالثاً: معنى قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿رَحْمَةً﴾ مفعول من أجله ﴿مِّنَّا﴾ صفة لرحمة ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ عطف على رحمة أي: أنَّ الهبة كانت للرحمة له وللتذاكير لأولي الألباب، ﴿لِأُولِي﴾ نعت لذكرى ﴿الْأَلْبَابِ﴾ مضاف إليه[79]، وأولوا الألباب: هم الذين يأخذون من كل قشرٍ لبابه، ويطلبون من ظاهر الحديث سره[80]، واللبيب هو: العاقل[81]، والمعنى أي: أنَّ الهبة كانت رحمة له وليتذكر أولو العقول بحالة أيوب ويعتبروا، فيعلموا أنَّ من صبر على الضر، فالله تعالى يثيبه ثواباً عاجلاً وآجلاً ويستجيب دعاءه إذا دعاه[82].

يقول الزجاج: "إذا ابتلي اللبيب ذكر بلاء أيوب فصبر"[83]، ويقول الرازي: "يعني سلطنا البلاء عليه أولاً فصبر ثم أزلنا عنه البلاء وأوصلناه إلى الآلاء والنعماء، تنبيهاً لأولي الألباب على أنَّ من صبر ظفر"[84]، ويقول البيضاوي: "وتذكيراً لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ إلى الله فيما يحيق بهم"[85].

رابعاً: معنى قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾.

﴿وَخُذْ﴾ عطف على ما تقدم ﴿بِيَدِكَ﴾ متعلقان بخذ ﴿ضِغْثًا﴾ مفعول به، ﴿فَاضْرِب﴾ عطف على خذ وبه متعلقان باضرب والمفعول محذوف أي: امرأتك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ عطف

---

(78) التحرير والتنوير (23/ 270- 271).

(79) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (8/ 367)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (3/ 1065).

(80) التعريفات (ص: 35).

(81) تاج العروس (4/ 194).

(82) ينظر: تفسير الزمخشري (4/ 97)، تفسير السعدي (ص: 714).

(83) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (4/ 335).

(84) تفسير الرازي (26/ 399).

(85) تفسير البيضاوي (5/ 31).

على اضرب ولا ناهية و(تحنث) فعل مضارع مجزوم بلا[86]، و(الضغث): ما جمعته بكفك من نبات الأرض فانتزعته، أو هو قبضة من دقاق العيدان والنبات[87]، و(الحنث) الذنب العظيم، ويقال: بلغ الغلام الحنث أي: بلغ مبلغاً جرى عليه القلم في المعصية والطاعة، والحنث إذا لم يبر بيمينه، وقد حنث يحنث[88]، والمعنى: أنَّه كان في مرضه وضره، قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: لئن شفاه الله ليضربنَّها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها الله ورحمه، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه[89].

يقول الرازي: "واعلم أنَّ هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه"[90]، ويقول الخازن: "فشكر الله حسن صبرها معه فأفتاه في ضربها وسهل له الأمر، وأمره بأن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربةً واحدةً ففعل ولم يحنث في يمينه"[91].

خامساً: معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾.

﴿ إِنَّا ﴾إنَّ واسمها ﴿ وَجَدْنَٰهُ ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعوله والجملة خبر إنَّ ﴿ صَابِرًا ﴾ مفعول وجدنا الثاني ﴿ نِّعْمَ ﴾ ماض لإنشاء المدح ﴿ ٱلْعَبْدُ ﴾ فاعل ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ إن واسمها ﴿ أَوَّابٌ ﴾ خبرها والجملة تعليلية أيضاً [92]، وقال أهل اللغة: الأواب: الرَّجّاع الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من قولهم: قد آب يؤوب أَوْباً: إذا رَجَع، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين[93].

والمعنى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ ﴾ أي: أيوب ﴿ صَابِرًا ﴾ أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى. ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء،

---

(86) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (8/ 367)، إعراب القرآن للدعاس (3/ 125).

(87) ينظر: جمهرة اللغة (1/ 425)، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية (ص: 71)، لسان العرب (2/ 164).

(88) ينظر: العين (3/ 206)، جمهرة اللغة (1/ 417)، المحكم والمحيط الأعظم (3/ 298).

(89) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (3/ 558)، تفسير السعدي (ص: 714).

(90) تفسير الرازي (26/ 399).

(91) تفسير الخازن (4/ 44).

(92) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (8/ 368)، إعراب القرآن للدعاس (3/ 126).

(93) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (1/ 115)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 526).

والمحبة والتأله[94]، يقول ابن كثير: "أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه نعم العبد إنَّه أواب أي رجاع منيب"[95].

(94) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (3/ 558)، تفسير السعدي (ص: 714).

(95) تفسير ابن كثير ط العلمية (7/ 66).

المطلب الثاني

الفوائد المستفادة والمستنبطة من الآيات

❖ يستفاد من خلال التأمل والتدبر لقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أنَّ نبي الله أيوب – عليه السلام– كان نموذجاً للعبد الصابر الذي لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من شدة الضر، بل إنَّه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال ، وفي بلاء أيوب – عليه السلام – وصبره أسوة حسنة للبشرية كلها، وإنَّه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة التي تتطلع إليه الأبصار .

❖ وفي قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ دليل على جواز ضرب النساء فيما يدعو إلى صلاحهن وأدبهن، وأوبهنَّ إلى الله – تبارك وتعالى–[98].

❖ في قوله تعالى:﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ إثبات الأسباب؛ ولو شاء الله تعالى لأنبع له الماء بدون الركض بالرجل، ولكن الله تعالى جعل ذلك سبباً[99].

❖ ومن الفوائد أنَّ الله تعالى قد يجعل السبب الضعيف الذي لا يقوم بالمسبب سبباً مؤثراً، كما أنَّه قادر على أن يمنع السبب المؤثر فلا يؤثر؛ فالركض بالرجل ليس من العادة أن ينبع الماء، والإلقاء في النار من العادة أن يحرق، فإبراهيم عليه –الصلاة والسلام– ألقي في النار ولم يحترق، وأيوب – عليه الصلاة والسلام– ركض برجله الأرض فنبع الماء. ففيه دليل على أن الله تعالى قد يجعل السبب الضعيف قوياً مؤثراً، ويجعل السبب القوي المؤثر غير مؤثر[100].

❖ ومن الفوائد في قوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أنَّ نبي الله أيوب – عليه السلام– عندما ضرب الأرض برجله نبع منها الماء بإذن الله دون مساعدة من أحد، أو حاجة إلى حفَّار؛ فالله على كل شيء قدير، وهذه إحدى الضربات التي نبع بها الماء على أنه آية من آيات الله.

---

(98) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (3/ 765).

(99) كتاب سورة ص – (ص: 196)، لمحمد بن صالح العثيمين.

(100) كتاب سورة ص – (ص: 196)، لمحمد بن صالح العثيمين.

والثانية: ضرب موسى عليه السلام للحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا. والثالثة: ضرب جبريل – عليه السلام– بجناحيه مكان زمزم فنبع الماء[101].

❖ ويستنبط من قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ أنَّ وصف الماء بذلك في سياق الثناء عليه مشير إلى أنَّ ذلك الماء فيه شفاؤه إذا اغتسل به، وشرب منه؛ ليتناسب قول الله له مع ندائه ربه؛ لظهور أنَّ القول عقب النِّداء هو قول استجابة الدعاء من المدعو[102].

❖ وفي التأمل في قوله تعالى:﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴾ نستنبط بعض الفوائد ومنها:

– إنَّ الله –تعالى– جعل أيوب –عليه السلام– رمزًا ونموذجاً للصبر وأسوة للصابرين.

– إنَّ الصبر من أعظم العطايا التي ينالها الانسان، قال –صلى الله عليه وسلم–: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خير وأوسع من الصبر»[103].

– إنَّ من جزاء الله للصابرين على البلاء في الدنيا أنَّ الله يعوضهم بالنعم العظيمة والبركات العميمة والرزق الواسع، ولذلك يقول –صلى الله عليه وسلم–: «بينما أيوب يغتسل عرياناً، خرَّ عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى، قال بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك»[104]، قوله: رجل جراد: بكسر الراء وسكون الجيم، جماعة كثيرة منه كالجماعة الكثيرة من الناس، كما يقال: سرب من الظباء، وعانة من الحمر، وهو من أسماء الجماعات التي لا واحد لها من لفظها، ومعنى: يحثى، بالثاء المثلثة أي :يأخذ بيديه، وقوله: فناداه ربه أي: قال الله له. ومعنى: أغنيتك من الإغناء[105].

❖ وفي قوله تعالى:﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ ﴾ نجد أنَّ الله تعالى يجعل لأوليائه المتقين فرجاً ومخرجاً، فإنَّ أيوب حلف أن يضرب امرأته مئة سوط، قال ابن كثير: "فلما

---

(101) سورة ص – (ص: 185)، لمحمد بن صالح العثيمين.

(102) التحرير والتنوير لابن عاشور (ص:270).

(103) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (1469)، باب الاستعفاف عن المسألة، ينظر: صحيح البخاري (2/ 122).

(104) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (3391)، باب قول الله تعالى: {وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين} [الأنبياء: 83]، ينظر: صحيح البخاري (4/ 151).

(105) ينظر: كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني – باب قول الله تعالى سيقول المخلفون إذا انطلقتم ،(ص:159).

عافاه الله – عز وجل– أفتاه أن يأخذ الضغث، وهو شماخ النخل، فيضربها ضربة واحدة، ويكون هذا بمنزلة الضرب بمئة سوط، ويبر ولا يحنث، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة الصِّدِّيقة البارة الراشدة؛ ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾" (106).

❖ وفي قوله تعالى: ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ فيه الإيماء إلى أنَّ نبي الله أيوب — عليه السلام– كان غنياً شاكراً، والذي يظهر أنَّ الله تعالى جمع لأيوب مقامي الصبر على الفقر، والشكر على الغنى باعتبار حالتيه، فكان في نفس البلاء فقيراً صابراً، وقبله وبعده غنياً شاكراً(107).

❖ ومن الفوائد في الآيات أنَّ الله – تعالى– لما قال مثنيًا على أيوب– عليه السلام– :﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾؛ أي: كثير الرجوع والإنابة لربه – سبحانه وتعالى–، ولذلك ينبغي للعبد المسلم أن يكون كثير الرجوع والتوبة والأوبة إلى الله في كل وقت، وخاصة بعد كل ذنب ومعصية، فالله يحب العبد الأواب التواب؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

❖ ويستفاد من قوله تعالى:﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ ﴾ أنَّ الرضا بقضاء الله وقدره من أهم صفات المؤمنين الصادقين، فلا يسخط المسلم إذا ابتلاه الله بمرض أو مصيبة، وإنما يرضى ويسلِّم لربه ويدعو الله – عزوجل– أن يرفع عنه البلاء.

❖ ومما يستفاد من الآيات أنَّ الله – عزوجل– يبتلي الخلق جميعاً، فمن صبر ورضي كان له الرضا، ومن سخط وغضب وجزع، ولم يرض بحكم الله تعالى، غضب الله عليه.

❖ ومما يستفاد من قوله تعالى:﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أنَّ من علامات حب الله للعبد أن يبتليه بأنواع الابتلاءات حتى ينقيه من الذنوب والسيئات، وحتى يجتبيه ويقرِّبه منه ويدنيه، وخير دليل على ذلك ابتلاء الله لأنبيائه، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: «أشد النَّاس

---

(106) ينظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (7/ 76).

(107) كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن محمد بن علان – باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به (ص:560).

بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[108].

❖ ومن الفوائد أنَّ على العبد المسلم دائماً وأبداً في السراء والضراء، وفي العسر واليسر، وفي المنشط والمكره أن يلجأ إلى الله، وأن يملأ قلبه اعتقاداً، أن لا مجيب له إلا الله سبحانه، وأن لا كاشف لما نزل به من البلاء إلا رب الأرباب، وخالق الأسباب، فهو المعين، وهو المجيب، وهو الذي بيده مقاليد كل شيء. وهذا الاعتقاد يُدْخِلُ الراحة والطمأنينة على قلب المؤمن، ويجعل حياته هادئة مستقرة لا اضطراب فيها ولا قلق، ونفسه راضية مطمئنة، ترضى بما كتبه الله عليها، وتقبل بما قسمه الله لها[109].

❖ ومن أهم الدروس المستفادة من قصة أيوب –عليه السلام– درس الصبر، فالصبر على البلاء، والصبر على المرض، والصبر على مفاتن الدنيا، والصبر على ذهاب المال والولد، كل ذلك من أنواع الصبر ونحوها مما يبتلي الله بها عباده؛ ليعلم من يصبر منهم ممن لا يصبر، وليعلم المؤمن الحق من المنافق، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد:31].وفي الحديث قوله – صلى الله عليه وسلم–:«واعلم أنَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»[110][111].

❖ ومن الفوائد أنَّ من أصيب بمصيبة فصبر واحتسب واسترجع عوضه الله خيرًا مما فاته، كما حصل لأيوب – عليه السلام –، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة – رضي الله عنها –: أن النبي– صلى الله عليه وسلم – قال: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره

---

(108) صححه الألباني في صحيح الجامع، ينظر: كتاب صحيح الجامع الصغير وزيادته – (ص:231)، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(109) ينظر: موقع طريق الإسلام، قصة أيوب عليه السلام، رابط المادةhttp://iswy.co/e2dek7 .

(110) أخرجه أحمد في مسنده برقم (2804)، ينظر: مسند أحمد ت شاكر (3/ 244).

(111) ينظر: موقع طريق الإسلام، قصة أيوب عليه السلام، رابط المادةhttp://iswy.co/e2dek7 .

الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها» قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت: من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ ثم عزم الله لي فقلتها، قالت: فتزوجت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –[112].

ومما يستفاد من هذه القصة أنَّ الزوجة الصالحة كالصديق الصالح تجدها في وقت الشدة كما كانت في وقت الرخاء، و قد قيل: يُعرف الصديق وقت الضيق، وإنَّ في هذا رسالة للزوجات المؤمنات بأن يصبرن على مرض أزواجهن، أو فقرهم، أو غير ذلك مما يحصل لهم، ولهنَّ في ذلك قدوة امرأة أيوب – عليه السلام –، وكيف صبرت واحتسبت حتى كُشفت عن زوجها الغمة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه–: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها»[113]، وفي رواية: أن امرأة قالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «حق الزوج على زوجته، لو كانت به قرحةٌ فلحستها ما أدت حقه»[114][115].

❖ وعند قراءتنا لقصة نبي الله أيوب في سورتي الأنبياء وص، نجد أنَّ هذه القصة في سورة (ص) أكثر تفصيلاً منها في سورة الأنبياء. ففي سورة الأنبياء جاء قول أيوب – عليه السلام– ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ مجملاً؛ ولكنه جاء مفصلاً في سورة (ص) حيث قال الله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، ولذلك جاء في سورة (ص) ذكر مغتسل الماء الذي اغتسل فيه أيوب وشرب منه فكان الشفاء بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ

(112) أخرجه مسلم في صحيحه (918)، باب ما يقال عند المصيبة، ينظر: صحيح مسلم (2/ 631).
(113) أخرجه أحمد في مسنده برقم (12614)، مسند أنس بن مالك، ينظر: مسند أحمد ط الرسالة (20/ 65).

(114) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (4164)، ذكر استحباب تحمل المكاره للمرأة عن زوجها، ينظر: صحيح ابن حبان – محققا (9/ 472).
(115) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط (ص: 399).

بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: 42]، وذكر مغتسل الماء الذي اغتسل فيه أيوب مناسب للتفصيل الذي سبق في قوله تعالى: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾.

❖ ومما يستنبط من قوله تعالى: ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ أنّ الإخلاص في الدعاء سر من أسرار استجابة الدعاء، والإخلاص هو خُلوص العمل من الشوائب، ومعنى خلوص الدعاء من الشوائب هو عدمُ التفاتِ القلبِ أثناء الدعاء إلى غير المدعوّ، وهو الله تعالى، وهكذا كان دعاء نبي الله أيوب – عليه السلام– فيه توجه القلب إلى الله وعدم التفاته إلى غيره، فلا ينبغي أن يكون الدعاء بقلب خال أجوف، دون أن يستحضر القلب ما تدعوا به اللسان، قال النووي: "اعلم أنّ مقصود الدُّعَاء هو حضور القلب، والدلائل عليه أكثر من أن تُحْصَرَ والعلم به أوضح من أن يُذْكَر"(116).

❖ ومن الفوائد أنَّ التداوي أمر مشروع لا ينافي الصبر؛ فقد أمر الله تعالى أيوب – عليه السلام – بأن يأخذ بأسباب العلاج، فقال له: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴾ [ص: 42].

(116) موقع الألوكة، قصة نبي الله أيوب عليه السلام، د. أمين بن عبدالله الشقاوي، تاريخ الإضافة 10/11/2014، رابط الموضوع: قصة نبي الله أيوب عليه السلام(alukah.net) .

الفصل الثالث

أهم المضامين الإيمانية المستنبطة من قصة نبي الله أيوب – عليه السلام- وأثر تحقيقها في الواقع

أهم المضامين الإيمانية المستنبطة من قصة نبي الله أيوب – عليه السلام– وأثر تحقيقها في الواقع

يتبيَّن للباحث من خلال العرض السابق لهذه الآيات التي تتحدث عن قصة نبي الله أيوب – عليه السلام– أنَّ أهمَّ المضامين الإيمانية التي استنبطت من هذه القصة، أربعة مضامين وهي: الإيمان بالقضاء والقدر، والتوكل على الله، والدعاء، والصبر، وفي هذا الفصل سيتعرض الباحث للكلام عن هذه المضامين، وأثر تحقيقها في الواقع، لا سيما وأنَّ ما تمر به أمة الإسلام اليوم من مآزق وفتن وشدائد وابتلاءات، يتحتم عليها أن تحقق هذه المضامين الإيمانية في واقع حياتها، والتي هي مستنبطة من قصة نبي الله أيوب – عليه السلام– في مسيرة البلاء التي مر بها وسجلها القرآن الكريم في هذه الآيات.

المبحث الأول

المضمون الأول: الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الأول

معنى القضاء والقدر

أولاً: معنى القضاء والقدر في اللغة:

القضاء لغة: هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وأما القدر فهو في اللغة: بمعنى التقدير[117].

ثانياً: تعريف القضاء والقدر في الشرع:

يقصد به تقدير الله تعالى الأشياء في القِدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخَلْقُه لها[118].

إذن فحقيقة الإيمان بالقضاء والقدر هي: التصديق الجازم بأنَّ كل ما يقع في هذا الكون فهو بتقدير الله تعالى.

ثالثاً: هل هناك فرق بين القضاء والقدر؟:

من العلماء من فرق بينهما، ويرى الباحث أنَّ الأقرب أنه لا فرق بين (القضاء) و (القدر) في المعنى فكلٌ منهما يدل على معنى الآخر؛ لأنَّه لا يوجد دليل واضح في الكتاب والسنة يدل على التفريق بينهما- والله أعلم-[119].

رابعاً: منزلة الإيمان بالقدر من الدين:

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي وردت في قوله – صلى الله عليه وسلم- عندما سأله جبريل – عليه السلام- عن الإيمان: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[120]، وقد ورد ذكر القدر في القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

---

(117) الفروق اللغوية للعسكري (ص: 191) معجم الفروق اللغوية (ص: 38).

(118) ينظر: لوامع الأنوار البهية (1/ 345)، مصطلحات في كتب العقائد (ص: 174)، مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: 493).

(119) ينظر: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (1/ 495)، مصطلحات في كتب العقائد (ص: 173).

(120) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (8)، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، ينظر: صحيح مسلم (1/ 37).

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر –رضي الله عنهما– أنَّه بلغه أنَّ بعض الناس ينكر القدر فقال: «إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني براء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر – أي : يحلف بالله– لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر»[121].

(121) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (8)، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، ينظر: صحيح مسلم (1/ 37).

المطلب الثاني

أولاً: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

اعلم وفقك الله لرضاه أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر يقوم على أربعة مراتب وأركان وهي:

أ . مرتبة العلم: وهي الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وهو عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، وأدلة هذا كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الحشر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾: [الطلاق: ١٢][122].

ب . مرتبة الكتابة[123]: وهي الإيمان بأن الله كتب مقادير جميع الخلائق في اللوح المحفوظ.

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]، وقوله – صلى الله عليه وسلم–: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[124].

ج . مرتبة الإرادة والمشيئة[125]: وهي الإيمان بأنَّ كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته شيء.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الكهف: ٢٣ – ٢٤]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(122) ينظر: التحفة المهدية شـرح العقيدة التدمرية (2/ 100)، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (1/ 516).

(123) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص: 121)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: 553)، شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: 217).

(124) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2653)، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ينظر: صحيح مسلم (4/ 2044).

(125) ينظر: التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (2/ 100)، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص: 121).

د . مرتبة الخلق[126]: وهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه، لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر: ٦٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]. وقوله -صلى الله عليه وسلم -: « إن الله يصنع كل صانع وصنعته»[127].

ثانيا: من لوازم صحة الإيمان بالقدر أن تؤمن:

- بأن للعبد مشيئةً واختياراً بها تتحقق أفعاله[128]، كما قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ [التكوير: ٢٨]، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦].

- وأن مشيئة العبد وقدرته غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته فهو الذي منح العبد ذلك وجعله قادراً على التمييز والاختيار[129]، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]- وأن القدر سر الله في خلقه فما بينه لنا علمناه وآمنا به، وما غاب عنا سلمنا به وآمنا، وألا ننازع الله في أفعاله وأحكامه بعقولنا القاصرة وأفهامنا الضعيفة بل نؤمن بعدل الله التام وحكمته البالغة وأنه لا يسأل عما يفعل سبحانه وبحمده[130].

---

(126) ينظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص: 88)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (3/ 940).

(127) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، باب أفعال العباد، ينظر: خلق أفعال العباد للبخاري (ص: 46).

(128) ينظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (7/ 148)، بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسنة (ص: 30).

(129) بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسنة (ص: 30)، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة (ص: 34).

(130) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية (ص: 225)، الجموع البهية للعقيدة السلفية (2/ 705)، شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر (ص: 8).

والإيمان بالقدر هو المحك الحقيقي لمدى الإيمان بالله تعالى على الوجه الصحيح، وهو الاختبار القوي لمدى معرفة الإنسان بربه تعالى، وما يترتب على هذه المعرفة من يقين صادق بالله، وبما يجب له من صفات الجلال والكمال [131].

(131) الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة دِرَاسَةٌ عَقَدِيَةٌ – الإيمان بالقدر طريق للخلاص من الشرك ، (ص521) لأحمد علي الزاملي، رسالة: دكتوراه – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، الدراسات، العليا، المملكة العربية السعودية، إشراف: الدكتور/ محمد باكريم محمد عبد الله، العام الدراسي: ١٤٣٧ – ١٤٣٨هـ.

المطلب الثالث

آثار الإيمان بالقضاء و القدر على حياة العبد المسلم

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان التي يجب على كل مسلم الإيمان بها، وله آثار وفوائد عظيمة وثمار كثيرة تصلح الفرد والمجتمع، ومنها:

– **أن الإيمان بالقدر طريق للخلاص من الشرك**، فالمؤمنون الموحدون الذين آمنوا بالقدر وأيقنوا بأنَّ هذا الكون وما فيه صادر عن الإله الواحد الأحد، الخالق لكل شيء المعبود دون سواه سبحانه وتعالى، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فسلموا بذلك من الشرك، فالإيمان بالقدر طريق التوحيد والنجاة من الشرك[132].

– **استشعار عظمة الله – سبحانه وتعالى – وإحاطته الشاملة بكل شيء** ونفوذ مشيئته على عموم الخلق سبحانه وتعالى[133].

– **مواجهة الصعاب والأخطار بقلب ثابت**: إذا آمن العبد بأنَّ كل ما يصيبه مكتوب، وآمن أن الأرزاق والآجال بيد الله، فإنه يقتحم الصعاب والأهوال بقلب ثابت وهامة مرفوعة، وكان هذا الإيمان من أعظم ما ثبت قلوب الصالحين في مواجهة الظلمة والطغاة، ولا يخافون في الله لومة لائم؛ لأنهم يعلمون أن الأمر بيد الله، وما قدر لهم سيأتيهم[134].

– **عدم الخوف من قول كلمة الحق خشية انقطاع الرزق**، فالرزق بيد الله، وما كتبه الله من رزق لا يستطيع أحد منعه، وما منعه الله لعبد من عبيده لا يستطيع أحد إيصاله إليه[135].

– **إن الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض السلوكية** التي تفتك بالمجتمعات وتزرع الأحقاد بينها وذلك مثل الحسد، فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، فأعطى من شاء ومنع من شاء ابتلاء وامتحانا منه سبحانه لخلقه، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على المقدور[136].

---

(132) ينظر: القضاء والقدر، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (ص: 109– 110)، مجلة البحوث الإسلامية (76/ 216).

(133) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية (76/ 216).

(134) ينظر: القضاء والقدر، للأشقر (ص111).

(135) ينظر: القضاء والقدر، للأشقر (ص: 111– 112).

(136) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية (76/ 218)، الموسوعة العقدية – الدرر السنية (5/ 290).

– **الطمأنينة والراحة النفسية التي يجدها المؤمن نتيجة للإيمان بقضاء الله وقدره**[137]، حيث إنه لا يقلق ولا يحزن بفوات محبوب أو حصول مكروه ؛ لأنه يعلم أنَّ ذلك كله بقدر الله – سبحانه وتعالى – الذي له ملك السماوات والأرض وما قدره – سبحانه وتعالى – كائن لا محالة، كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[الحديد: ٢٢- ٢٣].

وجاء في حديث صهيب – رضي الله عنه – أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: «عجباً لأمر المؤمن! إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[138].

– **تكفير الذنوب والخطايا**[139]، ويدل على هذا حديث أبي سعيد وأبي هريرة – رضي الله عنهما – أنهما سمعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به سيئاته»[140].

– **غنى النفس**[141]، ويدل عليه حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[142].

– **التسليم لحكمة الله وإرادته والرضا بفعله**، والتوكل عليه –عز وجل–، وعدم معارضة أقدار الله، والأدب مع الله – سبحانه وتعالى – ومع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[143].

---

(137) مجلة البحوث الإسلامية (76/ 220).

(138) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2999)، باب المؤمن أمره كله خير، ينظر: صحيح مسلم (4/ 2295).

(139) مجلة البحوث الإسلامية (76/ 220).

(140) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (2573)، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها صحيح مسلم (4/ 1992).

(141) مجلة البحوث الإسلامية (76/ 220).

(142) أخرجه البخاري برقم (6446)، باب الغنى غنى النفس، ومسلم في صحيحه، برقم (1051)، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، ينظر: صحيح البخاري (8/ 95)، صحيح مسلم (2/ 726).

(143) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية (76/ 221).

– **الهداية**: كما في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[التغابن: ١١]، وقال علقمه: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قبل الله فيسلم ويرضى"(144).

– **تحرير العقل من الخرافات والأباطيل**: فمن بديهيات الإيمان بالقدر، الإيمان بأن ما جرى وماجري وما سيجري في هذا الكون إنما هو بقدر الله، وأن قدر الله سر مكتوم، لا يعلمه إلا هو، ولا يطلع عليه أحد إلا من ارتضى من رسول. ومن هذا المنطلق تجد أن المؤمن بالقدر حقيقة لا يعتمد على الدجالين والمشعوذين، ولا يذهب إلى الكهان والمنجمين والعرافين، فلا يصدق أقوالهم، ويعيش سالماً من زيف هذه الأقاويل، متحرراً من جميع تلك الخرافات والأباطيل(145).

– **التواضع**: فالمؤمن بالقدر إذا رزقه الله مالاً، أو جاهاً أو علماً أو غير ذلك تواضع لله؛ لأنَّه يعلم أنَّ هذا من الله وبقدر الله، ولو شاء الله لانتزعه منه، إنَّه على كل شيء قدير(146).

– **السلامة من الاعتراض على أحكام الله الشرعية وأقداره الكونية**، والتسليم له في ذلك كله.

– **الإيمان بالقضاء والقدر من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العمل والنشاط والسعي** بما يرضي الله في هذه الحياة، بثبات وعزم ويقين، أما دعوى أنَّ الإيمان بالقدر يدعو إلى الكسل والتواكل في حياة المسلمين فهذا من جهل بعض المسلمين بحقيقة الإيمان والإسلام، والجهل بعقيدة القضاء والقدر(147).

---

(144) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (23/ 421).

(145) ينظر: القضاء والقدر في القرآن الكريم، لفضل محمد البرح، موقع الإسلام اليوم (بحوث)، نشر بتاريخ: الثلاثاء 26 ربيع الثاني 1438 الموافق 24 يناير 2017، https://islamtoday.net/bohooth/artshow-237051.htm، 87-237051، مقتطفات من كلام العلماء في القضاء والقدر، لله في قدره سرٌّ وعلمٌ، للشيخ محمد بن صالح الشاوي تاريخ النشر 9/3/2013 :ميلادي - 1434/4/26 هجري، رابط الموضوع:https://www.alukah.net/sharia/0/51484/

(146) عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر عند السلف وأثرها على المؤمن، د. عبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص40) – الفصل الرابع ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

(147) الموسوعة العقدية – الدرر السنية (5/ 287).

الإيمان بالقضاء والقدر في قصة أيوب – عليه السلام–.

وقد تحقق مضمون الإيمان بالقضاء والقدر في قصة أيوب – عليه السلام– من خلال الآتي:

1– الرضا بقضاء الله وقدره والذي كان ملازماً لنبي الله أيوب – عليه السلام– ولذلك لم يتسخط عندما ابتلاه الله بالمرض، وإنما رضي وسلَّم لربه.

2– التلطف والتأدب مع الله –سبحانه وتعالى– فقد وصف ربه بقوله: ﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾، وهذا من كمال الإذعان والتسليم والايمان بقضاء الله وقدره.

3– عدم اليأس والقنوط من رحمة الله – جل جلاله– ولذلك كانت نتيجة ذلك أنَّ الله عوضه خيراً ورحمه وأسبل عليه من نعمه جزاءً وفاقاً، قال الله تعالى: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ﴾.

المبحث الثاني

المضمون الثاني: التوكل على الله

المطلب الأول

تعريف التوكل

تمهيد:

التوكل على الله من أعظم العبادات التي يتقرّب بها العبد إلى الله -عزّ وجل-، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 122]، ويُعدُّ التوكل من الأعمال القلبيّة التي لا تتم باللسان، فما هو تعريف التوكل على الله؟

تعريف التوكل:

التوكل لغةً: هو من وَكَلَ، ويعني الاعتماد على الغير لتسيير أمرٍ ما وتفويضه، وإظهار العجز أمامه، فعندما نقول وكلت أمري لفلان فذلك يعني أنني اعتمدت عليه، ووكّل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزاً عن القيام بالأمر بنفسه، ويُقال وكل إليه الأمر وَكْلاً ووكولاً: أي سلمه وترك، والوكيل الذي يقوم بأمر موكله[148].

التوكل اصطلاحاً: هو صدق الاعتماد على الله في تسيير الأمور، واستجلاب المصالح، ودفع مضارّ الدنيا والآخرة، فيكون العبد واثقاً مما عند الله تعالى، وراضياً به، ويائساً ممّا في أيدي الناس[149]، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: 23]، وقال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ [يونس: 84].

يقول ابن رجب: إنَّ التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله – عز وجل – في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وكِله الأمور كلها إليه و تحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[150].

---

(148) النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 221)، لسان العرب لابن منظور (11/734- 736)، تهذيب اللغة للأزهري أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (10/371).

(149) مدارج السالكين (2 / 115)، موسوعة نظرة النعيم (1378). نقلاً عن جامع العلوم والحكم لابن رجب (409)، القول المفيد على كتاب التوحيد (ص: 87).

(150) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (2/ 497).

التوكل والأخذ بالأسباب[151]:

لابد هنا من لفت الانتباه إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنّ التوكل لا ينافي أخذ الأسباب. فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكّل، أو أطلقها وأتوكّل؟ -لناقته- فقال -صلى الله عليه وسلم-: « اعْقِلْهَا وَتَوَكَّل »[152].

الأمر الثاني: تتخذ الأسباب وإن كانت ضعيفة في نفسها ولذلك أمر الله تعالى أيوب - عليه السلام- أن يضرب الأرض برجله، وهل ضربة الصحيح للأرض منبعة للماء؟ لا، فكيف بمن هو مريض كأيوب -عليه السلام-؟، ولكن الله يريد أن يعلمنا أنه لابد من اتخاذ السبب ولو كان ضعيفاً، فالأمر أمره، والكون كونه، ولكن لابد من فعل الأسباب، مع حسن اعتماد القلب على الله - عز وجل-.

الأمر الثالث: عدم الاعتماد على الأسباب، وإنما يجعل اعتماده على الله تعالى، ولذلك ينبغي بذل السبب ولو كان يسيراً، ولنعلم أنّ الله هو مسبب الأسباب، ولو شاء أن يحول بين السبب وأثره لفعل سبحانه، ولذا لما أُلقي إبراهيم في النار لم يحترق لأن الله قدر ذلك، وإسماعيل - عليه السلام- لما أمرَّ أبوه السكين على عنقه وهي سبب في إزهاق الروح لم تزهق روحه لأن الله لم يأذن في ذلك. فلا يعتمد إلا على الله، وتتخذ الأسباب، لأن الله يقدر الأمور بأسبابها، فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب، نقص توكله على الله ويكون قادحاً في كفاية الله ومن جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب فقد طعن في حكم الله؛ لأنَّ الله جعل لكل شيء سبباً والله حكيم يربط الأسباب بمسبباتها.

---

(151) تفسير الخازن (3/ 115)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 117)، اللباب في علوم الكتاب (6/ 21).

(152) يقول الإمام الترمذي: وهذا حديث غريب من حديث أنس، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا. ينظر: سنن الترمذي ت بشار (4/ 249).

المطلب الثاني

مسائل في التوكل

أولاً: أقسام التوكل[153]:

- التوكل على الله في إصلاح النفس.
- التوكل على الله في إقامة دينه، ونصرته، وهداية الناس، وبيان طريق الحقِّ لهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- التوكل على الله في تحقيق الأمور الدنيويّة؛ مثل: الرزق، والزواج، وردّ الظلم.

(153) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 114)، ، التوكل على الله، أ. د. سليمان بن قاسم بن محمد العيد، مقال في موقع الألوكة، تاريخ الإضافة: 13/4/2013م - 2/6/ 1434 هـ، رابط الموضوع: https://www.alukah.net/personal_pages/0/52989/- ،.

المطلب الثالث

آثار تحقيق التوكل على الله في حياة العبد المسلم[154].

ومن آثار التوكل على الله في حياة العبد المسلم ما يلي:

❖ تحقيق الإيمان الصادق وذلك من خلال إيمانِ العبد بأنَّ ما كتب الله سبحانه نافذٌ، وما قدّره الله له كائنٌ، وإن بدت الأمور بعكس ما يريد العبد فعليه الإيمان بأنَّ الله سبحانه قد اختارَ لهُ الأفضل، قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

❖ الشعور بالطمأنينة والسكينة وذلك لأن العبد عندما يتوكل على الله تعالى فإنَّ هذا يولِّد لديه الثقة الكاملة في أنَّ الله لن يضيعه ولن يتركه وسيكون معه في كل أحواله، فتهدأ نفسه ويصلح باله ويعيش في راحة كاملة وفي سعادة غامرة.

❖ تحقيق الله تعالى لغايات العبد، ورغباته، وكفايته في جميع شؤونه جزاءً له على حسن توكّله على مولاه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾[155]، قال ابن القيم: "أي: كافية ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره، إلا أذىً لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً"[156].

❖ يورث الصبر والتحمل؛ ولهذا اقترن الصبر بالتوكل على الله في مواضع من القرآن؛ منها: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: 59]، ﴿ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: 12].

❖ تحقيق التوكل لدى العبد لا ينافي السعي والأخذ بالأسباب، التي قدَّر الله –عزّ وجل– المقدورات بها، وجرت سنة الله في خلقهِ بذلك، فالله سبحانه وتعالى أمر العبد بالأخذ بالأسباب، كما أمرهُ بالتوكلِ عليه سبحانه، فالسعي في الأسباب يكون بالجوارحِ طاعة لهُ، والتوكل على الله يكون بالقلبِ إيماناً بهِ سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ

---

(154) ينظر: آداب النفوس للمحاسبي (ص: 192)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 172)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (4/ 1398).

(155) سورة الطلاق، آية (٣).

(156) بدائع الفوائد (2/ 239).

حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ ،[الأنفال: ٦٠]، وقال سبحانه في سورة الجمعة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ ،[الجمعة: ١٠] ويغفل الكثير من الناس عن التوكل على الله سبحانه وتعالى، ويقفون على الأسباب الظاهرة المحيطة بهم، ويُتعبون أنفسهم بالأخذِ بالأسباب، ويجتهدون غايةَ الاجتهادِ، ومع هذا كله لا يأتيهم إلا ما كتبهُ الله وقدَّرهُ لهم، ولو أنَّهم إلى جانب أخذهم بالأسباب حققوا التوكل على الله سبحانه بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم، مع أدنى وأصغر سببٍ. كما يَسوق للطيور أرزاقها، بمجردِ الغدو والرواح وهو سعيٌ للرزقِ يسير.

❖ نيلُ رضا الله سبحانه ومحبته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾،[آل عمران: ١٥٩] ويُجازى المتوكل بالجنة، والتي هي أسمى أماني المؤمن، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨ - ٥٩].

❖ شعور العبد بضعفهِ، وفقرِه، وحاجته لله سبحانه وتعالى، فمهما بلغ من أسباب القوة يبقى ضعيفاً، ويحتاج إلى إعانة الله له في أمور حياته، وفي التغلب على مصائبِه، وكروبِه، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾.[النساء: ٨١] وبذلك يطرد داء العجب والكبر.

❖ يزول من قلبه أثر الخوف من المخلوق كالذين قيل لهم: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: 173].

❖ يقي من تسلُّط الشيطان: قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩].

❖ من أسباب سعة الرّزق فعن عمر – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً[157] وتروح بطاناً[158]»[159].

❖ يورث قوة القلب وشجاعته وثباته وتحديه للأعداء، ويورث القوة الروحية أيضاً في القلب، لحديث: «ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله...»[160]، ويورث العزة؛ قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: 217].

❖ يورث النصر والتمكين؛ ولهذا قرن الله تعالى بينه وبين التوكل في قوله: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

❖ من أسباب دفْع السحر والحسد والعين: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٧].

---

(157) بكسر الخاء المعجمة: جمع خميص، وهو الضامر، والمراد هنا: الجائع، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، (ص: 436)، باب التوكل والصبر، لمحمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، المشهور بـ ابن المَلَك (ت ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(158) وتَرُوحُ"؛ أي: عِشاءً "بِطَانًا" بكسر الباء: جمع بطين، وهو عظيم البطن، والمراد: الشِّبَع، كتاب شرح المصابيح لابن الملك – باب التوكل والصبر – (ص436).

(159) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم (205)، باب مسند عمر بن الخطاب، ينظر: مسند أحمد ط الرسالة (1/ 332).

(160) أخرجه ابن أبي أسامة في مسنده، برقم(1070)، باب في المواعظ، ينظر: مسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (2/ 967).

التوكل على الله في قصة أيوب – عليه السلام–.

وقد تحقق مضمون التوكل على الله في قصة أيوب – عليه السلام– من خلال الآتي:

❖ الأخذ بالأسباب من خلال العلاج والتداوي المشروع الذي لا ينافي الصبر؛ ولذلك أمر الله تعالى أيوب – عليه السلام – بذلك في قوله تعالى: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: 42].

❖ الثِّقة التامَّة واليقين بالله وذلك أنَّ نبي الله أيوب – عليه السلام– ترك كل ما سوى الله وعلّق قلبه بالله تعالى في درء الضر، وتحصيل الشفاء، كما أنَّ ثقته في ربه ظهرت أيضاً من خلال قطع التعلق بالعباد والمخلوقات الأخرى، فهم لا يملكون لأنفسهم، ولا لغيرهم نفعاً أو ضراً، وبالتالي فإن نبي الله أيوب – عليه السلام –كان لديه انقياد مطلق لله، فقد سلَّم أمره لله تبارك وتعالى، وتوجه توجهاً كاملاً إلى الله بالدعاء والرجاء والتضرع.

❖ الأمل فيما عند الله تعالى فأيوب – عليه السلام – عندما توكَّل على الله لم يعرِف اليأس إلى قلبِه سبيلاً؛ بل كان أمله ورجاءه في قضاء حوائجه من الله، ولذلك من اعتمد على الله ووثق به فإنَّ الله كافيه.

❖ الثقة فيما عند الله من خير وثواب وعوض، ولذلك نلاحظ أنَّ نبي أيوب – عليه السلام– انقاد انقياد تّام لله تعالى واستسلم له بكافَّة جوارحه من غير تردُّد ولا معارضة، إذعانًا وتسليمًا، وخضوعًا وانقيادًا، بمعاني الحبِّ والشَّوق إلى مولاه، والتشوُّف والتطلُّع إلى رضوانه.

❖ الدعاء دليل على التوكل على الله: فَسِرُّ التوكل على الله وحقيقتُهُ هو اعتماد القلب على الله وحده. وأعظم ما يتجلى التوكل حال الدعاء، ذلك أنَّ الداعي حال دعائه مستعين بالله، مفوض أمره إليه وحده دون سواه، ثم إنَّ التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطَّلها لم يصح توكله، والدعاء من أعظم هذه الأسباب إن لم يكن أعظمها.

المبحث الثالث

المضمون الثالث: من خلال الدعاء

المطلب الأول

تعريف الدعاء وأهميته وفضله[161]

أولاً: تمهيد: في أهمية وفضل دعاء الأنبياء.

الدعاء يكشف الله به البلايا ويرفع به المصائب ويمنع به وقوع العذاب، هو سلاح المؤمن، لا شيء أنفع ولا أبلغ في حصول المطلوب من الدعاء، فهو سلاح المؤمن، وعدة المؤمن.

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ *** علي فما ينفك أن يتفرجا

ورب فتىً ضاقت عليه وجوهه *** أصاب له في دعوة الله مخرجا[162]

فبدعوة واحدة تتقلب الأحوال فينتصر المهزوم ويغتني الفقير، ويولد للعقيم، ويشفى المريض، وتنفك الكربة، تنفرج الأزمة بهذا الدعاء، إنه مفزع المظلومين وملجأ المستضعفين، فإذا انقطعت بك الأسباب، وأغلقت في وجهك الأبواب، فإن الدعاء هو السلاح وهو الرحمة، لقد استعمله الأنبياء عندما اشتد البلاء، فهذا نوح – عليه السلام– يقول الله عنه: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات: ٧٥]، فقد سأل ربه التفريج من الكرب العظيم الذي هو فيه، ناداه صالح وناداه هود، وناداه شعيب، وناداه إبراهيم وناداه لوط، ناداه موسى وهارون، وناداه يحيى وزكريا، وناداه عيسى، وناداه محمد –صلى الله عليه وسلم– مراراً، وفي بدر قال وهو مادٌ يديه يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»[163]، فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداءه عن منكبيه فأمده الله بالملائكة واستجاب دعاءه، وهنا سؤال وهو ياتُرى ما سر الاستجابة في دعوات الأنبياء؟ ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ [الأنبياء:83-84]، ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠]، وهكذا دعوات الأنبياء الواردة في سورة

---

(161) الاعتداء في الدعاء صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح– تعريف الدعاء – (ص17)، الدعاء من الكتاب والسنة – آداب الدعاء وأسباب الإجابة – (ص8).

(162) ينظر: عيون الأخبار (2/ 310)، المجالسة وجواهر العلم (8/ 16).

(163) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (1763)، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، ينظر: صحيح مسلم (3/ 1383).

الأنبياء كلها مرفقة بقوله: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ ﴾، فيا ترى ما هي الأسرار، وما هي الشروط التي توافرت، بل ما هي العوامل التي كانت بسببها الاستجابة ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ ﴾ ؟

فمن خلال دعاء الأنبياء نلاحظ أنَّ الدعاء لون من ألوان العبادة القولية، ومظهر من مظاهر العبودية والخضوع لله سبحانه وتعالى، والرغبة إلى الله – عز وجل– في قضاء الحوائج، وتخلٍ عن الحول والطول والقوة وتفويض والتجاء إلى العظيم القادر بدفع الضر وجلب النفع. لذا جعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لب العبادة فقال: «الدعاء مخ العبادة»[164] وفي رواية «إنَّ الدعاء هو العبادة»[165].

ثانياً: تعريف الدعاء: الدُّعَاءُ في اللغة: مصدر الفعل (دَعَا)، ويقال: دعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه. والاسم: الدعوة. ودعيت فلاناً: صِحْتُ به واستَدْعَيْتُه. ودعوت الله له وعليه، والدعاء واحد الأدعية، وأصله دُعَاوٌ؛ لأنَّه من دعوت، إلا أنَّ الواو لما جاءت بعد الألف همزت [166].

الدعاء في الاصطلاح، عرفه أهل العلم بتعريفات منها: –

1– قال الخطابي: استدعاء العبد ربه –عز وجل– العناية، واستمداده إياه المعونة [167].

2– قال ابن القيم: طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه [168].

وجاء الأمر بالدعاء في القرآن الكريم بصيغ وأساليب متعددة منها:

- قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف: 55].
- وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60].
- وقوله عز من قائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186].

---

(164) يقول الإمام الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، ينظر: سنن الترمذي ت بشار (5/ 316)، برقم (3371)، باب ما جاء في فضل الدعاء.

(165) أخرجه أحمد في مسنده برقم (18352)، ينظر: مسند أحمد ط الرسالة (30/ 298).

(166) الجوهري، الصحاح 2337/6، مادة [دعا]. وابن منظور، لسان العرب 257/14، 258، نفس المادة.

(167) شأن الدعاء (ص: 4).

(168) بدائع الفوائد (2/3).

لقد خلق الله الخلق وبين لهم سبب خلقهم بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾: [الذاريات: ٥٦] فهي حقيقة خلقهم ووجودهم، والإنسان في هذه الحياة في رحلة مستمرة إلى الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق:٦] والمسلم يتقرب إلى الله تعالى بالعبادات المختلفة ومن بين أهم تلك العبادات التي يتقرب بها الى الله هي الدعاء، ويؤكد هذه الحقيقة قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الدعاء مخ العبادة» وهذا إبراز لأهميته كعبادة ينال بها المسلم الأجر والثواب العظيم من الله تعالى، ومن أجل أن يكون الدعاء نافعاً ويحقق الغرض المرجو منه، وجب أن يكون على الحال التي ترضي الله -جل جلاله- ويتأتى ذلك من المعرفة الدقيقة لهذه العبادة وآدابها وفوائدها وأي الأوقات المخصوصة بالإجابة والأدعية المأثورة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

المطلب الثاني

أولاً: آداب الدعاء[169]:

اعلم وفقك الله أنَّ للدعاء آداباً علمنا إياها نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– وسلفنا الصالح ومنها:

– على المسلم عند الدعاء أن يكون على طهارة في الملبس والمكان الذي يدعوا فيه ويستحب أن يكون متوضئاً مستقبلاً القبلة كونه يناجي ملك الملوك وسلطان السلاطين ويدعوا رب العالمين.

– استحباب تطييب الفم بالسواك قبل الدعاء؛ فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك، وبالغسل بالماء؛ روى البخاري عن عائشة –رضي الله عنها– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»[170].

– يستحب للمؤمن أن يختار لدعائه الأوقات الشريفة المخصوصة بالإجابة كيوم عرفة من السنة وشهر رمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، والحالات العظيمة الفضل الجليلة القدر كحالة الزحف للقاء العدو، وعند إقامة الصلوات المكتوبة، وبعد الصلوات الخمس، وبين الأذان والإقامة، وعند نزول الغيث –المطر–، وفي حال السجود، وذلك اقتداءً برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وتحقيقاً لسنته.

– ويختار في دعائه جوامعها، ويتجنب السجع المتكلف فيه، ويختار الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما يفتح الله عليه به من الدعاء.

– التوبة الصادقة إلى الله تعالى والاستغفار والإنابة إليه ورد المظالم والحقوق إلى أهلها؛ لأنَّ من أسباب استجابة الدُّعاء، التوبة والاستغفار، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا

---

(169) ينظر: إحياء علوم الدين (1/ 305)، الأذكار للنووي ت الأرنؤوط (ص: 395)، مجموع الفتاوى (15/ 10)، سلاح المؤمن في الدعاء (ص: 97)، جوامع الدعاء (ص: 26)، شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة (ص: 34).

(170) ينظر: صحيح: رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم، باب سواك الرطب واليابس للصائم (3/ 90)، ورواه موصولًا النسائي، باب: الترغيب في السواك، برقم (5)، ينظر: صحيح البخاري ط التأصيل، (ص: 90)، سنن النسائي (ص:10)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

﴿١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢].

– الدعاء لا يكون بإثم أو قطيعة رحم بل يكون بالخير والصلاح وقضاء الحاجات التي ليس فيها معصية لله تعالى، وعلى المسلم تجنب الدعاء بالشر أو الأذى أو التهلكة والمضرة بأحد من المسلمين.

– يستحب للمسلم أن يدعو وهو مستقبل القبلة، رافعاً يديه، خافضاً صوته، وبصره، وأن يلحَّ في دعائه، وأن يكرره ثلاثاً، لما ورد عن ابن مسعود أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– «كان إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً» (171).

– العزم في المسألة والدعاء؛ ولا يقل: إن شئت أعطني، أو: إن شئت فاغفر لي، ونحوه؛ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «لا يقولنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإنَّه لا مكره له»(172).

– ومن آداب الدعاء أن يقترن مع أداء الفرائض، والتقرب إلى الله بالنوافل وأعمال البر والخير على اختلافها، لينال العبد رضا سيده بطاعته له فيستجيب له دعاءه فينال الخير والأجر العظيم.

– ومنها أن يبدأ دعاؤه بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله، لما ورد في السنن: أنه بينما النبي –صلى الله عليه وسلم– قاعد إذ دخل رجل فصلى، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني. فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– «عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علي ثم ادعه». قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم– «أيها المصلي ادع تجب» (173).

---

(171) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (1794)، باب ما لقي النبي – صلى الله عليه وسلم– من أذى المشركين والمنافقين، ينظر: صحيح مسلم (3/ 1418).

(172) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له برقم (6339)، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب: العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت(2679).

(173) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (3476)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن وقد رواه حيوة بن شريح، عن أبي هانئ الخولاني. وأبو هانئ اسمه: حميد بن هانئ، وأبو علي الجنبي اسمه: عمرو بن مالك، ينظر: سنن الترمذي ت شاكر (5/ 516).

– ومنها أن يكون الدعاء بعبارات الثناء والتلطف والتأدب مع الرب – جلَّ جلاله– وعظمته وقدرته، وأن يدعوه بصفاته وبأسمائه الحسنى، فقد ورد عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه– قال: «سمع النبي –صلى الله عليه وسلم– رجلاً وهو يقول: ياذا الجلال والإكرام، فقال –صلى الله عليه وسلم–: قد استجيب لك فسل »[174]. وورد عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: « إن لله ملكاً موكلاً بمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثاً قال الملك: إنَّ أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل »[175].

– ومنها أن يستحضر الداعي في قلبه قدرة الله تعالى، ويستشعر عظمته وإحاطته بكل شيء، فيخشع قلبه فيدعوا الله رغبة في رحمته وجنته، ورهبة من عذابه وناره، وكأنَّه يعاين الجنة ونعيمها، وجهنم وجحيمها، فلا يكون قلبه غافل فيحرم إجابة دعائه، لقوله – صلى الله عليه وسلم–: «إن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» [176].

– أن تدعوا للمؤمنين والمؤمنات عند دعائك لنفسك؛ قال الله –تعالى–: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد: 19]، وروى مسلم عن أبي الدرداء –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل»[177].

– استحباب إخفاء الدُّعَاء، فلا يَسمَعُه غير من يناجيه؛ قال الله –تعالى﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف:55].

– ومنها أن يتيقن الداعي إجابة دعائه، وأنَّ الله تعالى كريم عظيم، لا يرد من يدعوه ويطرق بابه، ولكن على المسلم أن يوقن بأنَّ الإجابة تكون إما عاجلة أو آجلة، وفي كليهما خير كثير،

---

(174) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم(22017)، حديث معاذ بن جبل، مسند أحمد ط الرسالة (36/ 347).

(175) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك برقم(1996)، ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 728).

(176) أخرجه الترمذي، برقم (3479)، ينظر: سنن الترمذي ت بشار (5/ 394).

(177) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (ص2094)، ينظر: صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي (٢٠٦ – ٢٦١ هـ).

فالدعاء يجب أن يقترن بيقين جازم بالإجابة لقوله – صلى الله عليه وسلم–:«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»[178].

– ومن آداب الدعاء أن يقترن بحسن الظن بالله وبقربه من عبده إذا دعاه، وبنصره وتأييده له إذا لجاء إليه، لقوله – صلى الله عليه وسلم–: « إنَّ الله – عز وجل– يقول: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني »[179].

– ومنها أن لا يدعوا على نفسه، أو ولده أو ماله لضر نزل به، ولا يتمنَّى الموت، لقوله – صلى الله عليه وسلم–: « لا يتمنَّى أحدكم الموت من ضر نزل به ، فإن كان لابد فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خير لي وتوفني إذا كانت الوفاة خير لي »[180].

(178) أخرجه الترمذي، برقم (3479)، ينظر: سنن الترمذي ت بشار (5/ 394).

(179) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم (616)، باب سيد الاستغفار، ينظر: الأدب المفرد بالتعليقات (ص: 320).

(180) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (13993)، مسند أنس بن مالك، ينظر: مسند أحمد ط الرسالة (21/ 408)

المطلب الثالث

موانع إجابة الدعاء[181]

كما أنَّ للدعاء أسبابًا لإجابته، فإنّ له كذلك موانع تمنع إجابته، فنذكرها لكي يجتنبها المسلم في دعائه، ومنها ما يلي:-

- أكل الحرام، وإنَّ من المحزن، أنَّ كثيراً من الناس لا ينتبه لهذا، وقد دلَّت عليه أحاديث كثيرة منها: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً... »[182]، وأيضاً ما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «ليأتينَّ على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن الحلال أم من حرام»[183]، وقد أدرك السلف -رحمهم الله- ذلك، فحرصوا على إطابة مطاعمهم، فقد قيل لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-: "تستجاب دعوتك من بين أصحاب -رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها، ومن أين خرجت". وعن وهب بن منبه قال: "من سره أن يستجيب الله دعوته فليطيب طعمته" [184]، ومن أمثلة أكل المال الحرام: أخذ أموال الناس بالظلم والقوة، أو بالمكر والحيلة، أو ببخس العمال حقوقهم، أو بالمساهمة بالأموال في البنوك الربوية، أو بالدخول في تجارات ومعاملات محرمة أو مشبوهة.

- الاستعجال، وقد دل عليه حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي» [185]. فإنَّ الله سبحانه أعلم بمصالح عباده، وما من داعٍ إلا ويستجاب له بأن يعطى سؤاله، أو يصرف عنه من الشر مثله، أو يدَّخر له في الآخرة.

---

(181) ينظر: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص: 27)، أحلي الكلام في مناجاة ذى الجلال والإكرام، محمد علي محمد إمام (ص:12).

(182) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (1015)، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ينظر: صحيح مسلم (2/ 703).

(183) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة، برقم(2083)، ينظر: صحيح البخاري ط: السلطانية (ص:59).

(184) هذه الآثار وغيرها أوردها ابن رجب في جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (1/ 275).

(185) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (6340)، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، ينظر: صحيح البخاري (8/ 74).

- غفلة القلب، لما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه» [186].

- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في سنن ابن ماجه من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم» [187].

- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، هذا دعاء بالشر لا بالخير، والأصل في الدعاء أن يكون بالخير للمؤمنين، وبضده لأعداء الدين. ويدل على ذلك ما ورد من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل قيل يا رسول الله: ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر [188]عند ذلك، ويدَع الدعاء» [189].

---

(186) أخرجه الترمذي، برقم (3479)، قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ينظر: سنن الترمذي ت بشار (5/ 394).

(187) أخرجه ابن ماجة في سننه، برقم (4004)، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينظر: سنن ابن ماجه (2/ 1327)، وقال الألباني في "صحيح سنن ابن ماجه"(367/2): حسن.

(188) هو استفعال من حَسَرَ أي أعيا وتعب. واستحسر إذا أعيا وانقطع عن الشيء، والمراد هنا: انقطع عن الدعاء. (ابن منظور، لسان العرب 188/4، مادة [حسر]، والنووي، شرح صحيح مسلم 52/17).

(189) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2735)، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي ينظر: صحيح مسلم (4/ 2096).

المطلب الرابع

أثر الدعاء في حياة العبد المسلم(190)

وللدعاء آثار كثيرة على حياة العبد المسلم كما لسائر العبادات والأذكار، ومن أهم هذه الآثار ما يلي:

– **إنَّ الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره** – عز وجل–: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[غافر:60]، وقال تعالى: ﴿ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[الأعراف:29]، فالداعي مطيع لله، مستجيب لأمره.

– **السلامة من الكبر**، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:60]، قال الإمام الشوكاني في هذه الآية: "والآية الكريمة دلت على أنَّ الدعاء من العبادة، فإنَّه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾، فأفاد ذلك أنَّ الدعاء عبادة، وأنَّ ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه، وموجده من العدم، وخالق العالم أجمع، ورازقه، ومحييه، ومميته، ومثيبه، ومعاقبه؟! فلا شك أنَّ هذا الاستكبار طرف من الجنون، وشعبة من كفران النعم"(191).

– **نيل الرحمة من الله تعالى**: الدعاء هو سبب لاستجلاب ونيل رحمة الله تعالى، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم–: « من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة »(192).

---

(190) ينظر: أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء، لمحمد بن موسى الشريف (ص:17)، طريقك إلى الدعاء المستجاب (ص: 8)، موقع طريق الإسلام، رابط المادة http://iswy.co/e12paj، تاريخ النشر: 13-06-2014م.

(191) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، (ص:33).

(192) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٥٤٨)، ينظر: سنن الترمذي ت: شاكر (ص:552)، وقال الترمذي عن هذا الحديث: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر وهو ضعيف الحديث.

– **رد البلاء والقدر بالدعاء:** اعلم أنَّ الأمور تجري بأمر الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون، وأنَّ ما نزل بنا لا يغيره أحد إلا الله تعالى، فلنرفع أيدينا وندعوه ليغير حالنا إلى الأفضل وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: «لا يرد القدر إلا الدعاء»[193].

– **الدعاء سلامة من العجز، ودليل على الكياسة:** فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»[194]، فأضعف الناس رأيًا، وأدناهم همةً، وأعماهم بصيرةً من عجز عن الدعاء، ذلك أنَّ الدعاء لا يضره أبدًا، بل ينفعه.

– **إدراك الحاجات ورفع الدرجات:** يقول النبي – صلى الله عليه وسلم–: «ما سأل رجل مسلم الجنة ثلاث مرات قط، إلا قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ولا استجار من النار إلا قالت النار : اللهم أجره »[195]، لذا لنكثر من الدعاء وننظر إلى كرم من ندعوه، وإلى خزائن ملكه التي لا تنفذ ، وإلى عطاءه الكريم وهو أكرم الأكرمين، ندعوه فندرك الحاجات ويعلي لنا الدرجات وننال رحمته ورضوانه ولا يردنا خائبين ، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: « إنَّ الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»[196].

– **الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله:** قال – صلى الله عليه وسلم–: «من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئًا يعطى أحبَّ إليه من أن يسأل العافية، إنَّ الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»[197]، ولهذا يجدر بالعبد إذا

---

(193) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢١٣٩)، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، وقد حكم الترمذي على هذا الحديث بقوله: وهذا حديث حسن غريب ، ينظر: سنن الترمذي ت شاكر– (ص448).

(194) أخرجه البيهقي في كتاب شعب الإيمان – مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم – برقم (٨٣٩٤)، وحكم عليه بأنه موقوف، ينظر: شعب الإيمان ط الرشد (ص194).

(195) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، برقم (١٣٧٥٦)، ينظر: مسند أحمد بن حنبل ت: الأرنؤوط (ص289).

(196) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٥٥٦)، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه، ينظر: سنن الترمذي ت شاكر، (ص556).

(197) أخرجه الترمذي في سننه برقم (3548) وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وقال الألباني في صحيح الجامع (3409): حسن، ينظر: سنن الترمذي ت شاكر – (ص552)، كتاب صحيح الجامع الصغير وزيادته، (ص641).

وجد من نفسه النشاط إلى الدعاء والإقبال عليه أن يستكثر منه، فإنَّه مجاب، وتقضى حاجته بفضل الله، ورحمته، فإنَّ فَتْحَ أبواب الرحمة دليل على إجابة الدعاء[198].

– **الدعاء سلاح المؤمن**: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض»[199]، فهو بمثابة السلاح للمؤمن يستشعر به القوة والطمأنينة والأمان، وما النفع في سلاح لا تستعمله!!!.

– **عدم الهلكة مع الدعاء**: لقوله – صلى الله عليه وسلم–: «لا تعجِزوا في الدعاء، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد» [200].

– **الدعاء سبب في حضور وحياة القلب**: ويكون صاحبه حي متعلق بالله، بعكس الذي لا يذكر الله ولا يدعوه فهو كالميت لقوله –صلى الله عليه وسلم– «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت»[201].

– **الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائذها**: فقد يقوم العبد لمناجاة ربه، وإنزال حاجاته ببابه فَيُفْتَح على قلبه حال السؤال والدعاء من محبة الله، ومعرفته، والذل والخضوع له، والتملق بين يديه ما ينسيه حاجته، ويكون ما فتح له من ذلك أحبَّ إليه من حاجته، بحيث يحب أن تدوم له تلك الحال، وتكون آثر عنده من حاجته، ويكون فرحه بها أعظمَ من فرحه بحاجته لو عجلت له وفاته تلك الحال[202].

---

(198) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين – (ص:34).

(199) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (١٨١٢)، وقال الحاكم: وله شاهد بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك، ينظر: المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عطا – كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر (ص:675).

(200) أخرجه ابن حبان في صحيحه – ذكر رجاء النجاة من الآفات لمن دام على الدعاء في أوقاته – برقم (٤٦٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك– كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، برقم (١٨١٨)، ينظر: صحيح ابن حبان التقاسيم والأنواع (ص355)، المستدرك على الصحيحين ط العلمية – (ص671).

(201) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل ذكر الله، برقم (٦٤٠٧)، ينظر: صحيح البخاري ط السلطانية (ص86).

(202) مدارج السالكين ط عطاءات العلم، (ص579).

– **نجاة العبد من الشيطان:** إنَّ ذكر الله تعالى والدعاء يكونان سبباً في نجاة العبد من الشيطان ووساوسه، لقوله – صلى الله عليه وسلم–: «إنَّ العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله»[(203)].

– **إثقال كفة الحسنات في الميزان:** لقوله – صلى الله عليه وسلم–: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »[(204)].

– **شكر الله تعالى:** الذكر والدعاء يقودان العبد إلى معرفة نعمة الله عليه فيشكره على أنعمه فيؤدي حقوق ربه عليه بعكس النسيان الذي يقود إلى جحود نعمة الله تعالى وإحسانه وبالتالي يؤدي إلى الكفر، لقوله – صلى الله عليه وسلم–: « إن الله يقول: يا ابن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني، وإذا نسيتني كفرتني »[(205)].

– **الفوز بالجنة:** يقود الدعاء والذكر للفوز بالجنة لقوله – صلى الله عليه وسلم – لما سئل عن غنيمة مجالس الذكر قال: « غنيمة مجالس الذكر الجنة »[(206)].

الدعاء في قصة أيوب – عليه السلام–

وقد تحقق مضمون الدعاء في قصة أيوب – عليه السلام– من خلال الآتي:

– حسن اختيار الدعاء.

– حسن الافتقار والتواضع لله –تعالى–.

– التوّسل إلى الله سبحانه ببعض بصفاته.

---

(203) أخرجه الترمذي في سننه وصححه، وحكم عليه الألباني في صحيح الترهيب والترغيب أنه صحيح، ينظر: سنن الترمذي ت شاكر – باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة – برقم (٢٨٦٣)، (ص:148)، صحيح الترغيب والترهيب – الترغيب فيما يقوله من حصلت له وسوسة في الصلاة وغيرها – (ص268).

(204) متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما، ينظر: صحيح البخاري ط السلطانية – باب فضل التسبيح – برقم (٦٤٠٦)، (ص86)، صحيح مسلم– ت– عبد الباقي، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء – برقم (٢٦٩٤)، (ص2072).

(205) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، وفيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف، ينظر: المعجم الأوسط للطبراني – من اسمه محمد – برقم (٧٢٦٥)، (ص:200).

(206) أخرجه أحمد في مسنده، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: وإسناد أحمد حسن، ينظر: مسند أحمد ط الرسالة – مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما – برقم (٦٦٥١)، (ص232)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – باب فيمن يذكر الله تعالى – برقم (١٦٧٧٣)، (ص78).

- الحرص على التأدب مع الله في نسبة المرض والابتلاء إلى المولى -سبحانه-، مع أنّ كل ذلك مقدرٌ منه.

يقول السعدي: "فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنَّه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له"(207).

"وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ .. ووصف ربه بصفته: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئاً على ربه، تأدباً معه وتوقيراً.

فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الاعصار. بل إنَّه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال.

وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء" .

(207) تفسير السعدي (ص: 529).

المبحث الرابع

المضمون الرابع: الصبر

المطلب الأول

تعريف ومقدمة عن الصبر[209]

أولاً: تمهيد:

الصبر صفة مهمة في حياة المسلم، وهو خلق كريم من أخلاق الإسلام، وهو معين على السير إلى الله، ولذلك لابد من التأمل في سير العظماء من أنبياء، وصحابة، وتابعين، وعلماء، ومجاهدين، ومن كرماء وأبطال الصابرين، وما لاقوه من صنوف البلاء وألوان الشدائد، وبخاصة أصحاب الدعوات، وحملة الرسالات من أنبياء الله ورسله المصطفين الأخيار، الذين جعل الله من حياتهم وجهادهم دروساً بليغة لمن بعدهم ليتخذوا منها أسوة، ويتعزوا بها عما يصيبهم من متاعب الحياة وأذى الناس، يقول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾[الأحقاف: ٣٥]، وأمتنا الإسلامية على مرَّ عصورها لم تخل من نماذج عظيمة وقمم سامقة، سواء في ميادين العلم والعبادة، أو ميادين الجهاد والدعوة، أو ميادين العطاء والتضحية، وسجل لهم التاريخ مواقفهم الثابتة ،كي يقتدى بهم في الصبر والعزائم.

وقد وعد الله الصابرين الأجر الجزيل في الدنيا والآخرة وبيَّن أنَّه مع الصابرين، وبناءً على ما سبق سنتاول في هذه الأسطر، معنى الصبر وأنواعه وفضيلته ومنزلته ومجالاته والأسباب المعينة عليه.

ثانياً: تعريف الصبر وأنواعه:

الصبر لغة: الحبس يقال: صبر على الأمر: احتمله ولم يجزع، وكل من حبس شيئاً فقد صبره[210].

وشرعاً هو: حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوها[211].

---

(209) موسوعة الرقائق والأدب ياسر الحمداني – تمهيد هموم المسلمين– لياسر الحمداني، (ص4907)، كتاب اصبر واحتسب – أقسام الصبر – عبد الملك بن محمد القاسم (ص14)، كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – من الآثار وأقوال العلماء الواردة في الصبر والمصابرة – (ص2470).

(210) ينظر: لسان العرب (4/ 438)، الكليات (ص: 560)، تاج العروس (12/ 271).

(211) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 15).

ثالثاً: الأمر بالصبر:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأحقاف: 126]، يقول الإمام الخازن: "أمر الله سبحانه وتعالى نبيه – صلّى الله عليه وسلّم– بالصبر، وأعلمه أنَّ صبره بتوفيقه ومعونته"[212]، ويقول الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧]،" تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما ينال بمشيئة الله وإعانته، وحوله وقوته"[213]، ويقول الشيخ الشنقيطي: "ذكر – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة: أنه – صلى الله عليه وسلم – مأمور بالصبر، وأنه لا يمتثل ذلك الأمر بالصبر إلا بإعانة الله وتوفيقه"[214]

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: 17].

وقال الشيخ السعدي: "لما علم أنه لابد أن يبتلى إذا أمر ونهى، وأن الأمر والنهي مشقة على النفس أمره بالصبر على ذلك فقال: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ الذي وعظ به لقمان ابنه ﴿ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي: من الأمور التي يعزم عليها ويهتم بها ولا يوفق لها إلا أهل العزائم"[215].

وبعد أن قص الله على نبيه قصة نوح – عليه السلام– وما حدث له مع قومه ومع ابنه قال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم–:«والصبر ضياء »[216].

رابعاً: الصبر سلاح المؤمن:

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال الحسن البصري، – رحمه الله–: أمروا أن يصبروا على دينهم الذي

---

(212) تفسير الخازن (3/ 108).

(213) تفسير ابن كثير ت سلامة (4/ 615).

(214) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (2/ 468).

(215) تفسير السعدي (ص: 649).

(216) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الوضوء – برقم (223)، ينظر: صحيح مسلم ت عبد الباقي، (ص203).

ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات. وقيل: انتظار الصلاة بعد الصلاة [217]، والمصابرة فيها مفاعلة وذلك بأن يجاهد نفسه ويجرها إلى الصبر، ويلزمها به، وعن عبد الله بن أبي أوفى – رضي الله عنهما– أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس قام فيهم فقال: « يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنَّ الجنَّة تحت ظلال السيوف، ثم قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم »[218]، ومن الفوائد في هذا الحديث أنَّ الصبر عند لقاء العدو، هو السبب الأكبر في الظفر والانتصار.

خامساً: منزلة الصابرين[219]:

الصبر له منزلة عظيمة عند الله تعالى، ولا يتم إيمان العبد إلا بالصبر، والصبر من أفضل الأعمال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: 153].

وتفكر كيف قدم الصبر على الصلاة لأن العبادة ومنها الصلاة تحتاج إلى الصبر لأدائها، ولذلك جعل الله معيته مع الصابرين، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل: 96]. يقول الطبري عند تفسير هذه الآية: "وليثيبنّ الله الذين صبروا على طاعتهم إياه في السّراء والضرّاء، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في رضاه، بأحسن ما كانوا يعملُون من الأعمال"[220]، وها هو الإمام ابن كثير ينبهنا إلى فائدة جميلة في الآية فيقول: "قسم من الرب تعالى مؤكد باللام، أنَّه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم، أي ويتجاوز عن سيئها"[221]، فانظر يا رعاك الله إلى المولى سبحانه يقسم بأنه سيجازي الصابرين بأحسن

---

(217) تفسير ابن كثير ت سلامة (2/ 195).

(218) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (2966)، باب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، صحيح البخاري (4/ 51)، ينظر: صحيح البخاري (4/ 51).

(219) تفسير الراغب الأصفهاني – (ص868)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح – باب الصبر عن محارم الله عز وجل – (ص494)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب – فصل في منزلة الصبر – (ص157).

(220) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (17/ 289).

(221) تفسير ابن كثير ط العلمية (4/ 516).

ما كانوا يعملون، فكيف سيكون هذا الجزاء الذي يقسم عليه أصدق القائلين وأكرم الأكرمين سبحانه، وعن جزاء ومنزلة الصابرين أيضاً يقول الله: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: 12]، وانظروا كيف نكَّر لفظ (جنة) لعظمها وعظم الجزاء فيها بما يتناسب مع عظم الصبر، ولذلك يقول السعدي عن تفسير لفظ (جنة): "جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى"(222).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»(223).

- وعن عائشة رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن الطاعون فأخبرها: « أنَّه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنَّه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد »(224).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: « يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة »(225).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- عن الصبر: "هو سبب الإمامة في الدين كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: 24]."(226).

---

(222) تفسير السعدي (ص: 343).

(223) سنن الترمذي ت شاكر (4/ 602)، برقم (2399)، باب ما جاء في الصبر على البلاء، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(224) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (5734)، باب أجر الصابر في الطاعون، ينظر: صحيح البخاري (7/ 131).

(225) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (5944)، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، ينظر: صحيح البخاري (20/ 49)

(226) مجموع الفتاوى(28/ 153).

جزاء الصابرين [227]:

أولاً :محبة الله تعالى لهم ورضاه عنهم؛ فالصابر المحتسب لله يفوز بمحبة الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. فإنَّ الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم؛ فعن محمود بن لبيد – رضي الله عنه – أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال :«إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن صبَر فله الصبر، ومَن جزِع فله الجزع»[228].

ثانيًا :معيَّة الله لهم بالعون والتأييد والنصرة؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: 153]، وفي الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنَّه قال لابن عباس –رضي الله عنه– مخاطبًا له: «واعلَم أنَّ في الصبر على ما تَكره خيرًا كثيرًا، وأنَّ النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسرًا»[229].

ثالثًا :تَوفيتُهم أجورَهم بأحسن ما عمِلوا، وبدون حد وحساب؛ قال تعالى :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: ١٠]، وقال :﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 96].

رابعًا :البشرى الربانية لهم؛ قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥].

---

(227) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ط عطاءات العلم– أدلة القائلين بأن الصبر أفضل – (ص212)، التفسير الوسيط مجمع البحوث – سبب النزول – (ص236)، موقع رابطة العلماء السوريين، مقال بعنوان الصبر، د. طه محمد فارس، رابط الموضوع/ رابطة العلماء السوريين | روضة المنابر | الصَّبْرُ(islamsyria.com) .

(228) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – حديث محمود بن لبيد أو محمود بن ربيع – برقم (٢٣٦٤١)، وحكم عليه الألباني بأنه صحيح، ينظر: مسند أحمد ط الرسالة (ص48)، الجامع الصغير وزيادته – للسيوطي (ص2586).

(229) أخرجه الامام أحمد في مسنده – مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم – برقم (٢٨٠٢)، وحكم عليه ابن حجر العسقلاني بأنه حديث حسن، ينظر: كتاب مسند أحمد ط الرسالة – (ص19)، كتاب موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، لابن حجر العسقلاني – (ص327).

خامسًا :صلوات الله ورحمته عليهم، وشهادة الله لهم بالهداية والاهتداء؛ قال تعالى :﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة: [١٥٥ - ١٥٧]، فهم يفهمون عن الله تعالى، ويتدبرون حكمته في تصريف الأمور، فيرضون بما قضاه وقدَّره عليهم، فلا يزال صاحب الصبر المحمود مستضيئًا مهتديًا مستمرًّا على الصواب؛ لذلك وصف النبي - صلى الله عليه وسلم- الصبر بالضياء؛ فعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «والصبر ضياء»(230).

سادسًا :مغفرة ذنوبهم وإثابتهم بالجنة؛ قال تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود:١١]، والأجر الكبير: الجنة، وقال تعالى:﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٥]، وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم- عن عظيم أجر المؤمن عندما يقابل أصناف الابتلاء بالصبر والاحتساب؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: «ما يُصيب المؤمن مِن وصَبٍ ولا نَصَبٍ، ولا سَقَمٍ ولا حَزَنٍ، حتى الهمُّ يُهَمُّه - إلا كفَّر به مِن سيئاته»(231).

سابعًا :العاقبة بالسعادة والنصرة والغلبة لهم؛ قال تعالى :﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: 49]، وقال تعالى :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف:137].

ثامنًا :شهادة الله لهم بالتوكل عليه، فهم واثقون بما عنده، آيسون مما في أيدي الناس؛ قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: 42].

---

(230) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٢٣)، باب فضل الوضوء، ينظر: كتاب صحيح مسلم ت عبد الباقي (ص203).

(231) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤١)، ينظر: صحيح البخاري ط السلطانية (ص114).

المطلب الثاني

مجالات الصبر[232]

- الصبر على طاعة الله:

الطريق إلى الله تعالى مليئة بالعوائق؛ لأن النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس؛ ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلابد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار[233].

يقول الله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم:65]، ويقول: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢]، وقد قدَّم الله تعالى الصبر على العمل فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [هود: 11].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أن يصبر الإنسان على طاعة الله لأن الطاعة ثقيلة على النفس تصعب على الإنسان، وكذلك ربما تكون ثقيلة على البدن بحيث يكون مع الإنسان شيء من العجز والتعب، وكذلك أيضاً يكون فيها مشقة من الناحية المالية كمسألة الزكاة ومسألة الحج" [234].

- الصبر على محارم الله:

نعلم جميعا أنَّ هذه الحياة هي دار ابتلاء وامتحان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢] وقد أودع الله تعالى في الأرض زينتها وأبدع فيها من آيات الحسن والجمال ما يدفع الإنسان إلى إعمارها. قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى

---

(232) أنواع الصبر ومجالاته – المبحث الخامس أنواع الصبر – د. سعيد القحطاني، (ص20)، كتاب الله لطيف بعباده – قال في مختصر منهاج القاصدين – عبد الملك بن محمد القاسم، (ص10).

(233) أنواع الصبر ومجالاته (ص: 20).

(234) شرح رياض الصالحين (1/ 172).

﴿ ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: 7] لكنَّ الشيطان يفعل فعله في إخراج هذه الزينة عن الإطار الصحيح، فبدلا من أن تشكل دافعاً للبناء والإعمار تصبح هدفاً بحد ذاته تُطلب بكل وسيلة.

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:14]، وحتى لا يبقى الإنسان مندفعاً خلف شهواته ناسياً أنَّ زينة هذه الدنيا هي اختبار وامتحان، يخبرنا تعالى أنَّ الاستمتاع الحقيقي بالزينة والمجرد عن التكليف إنَّما يكون في الآخرة. قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:15]، ومن صبر عن محارم الله فإنه سيوفَّى أجره قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، وقد عرف أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– قيمة الصبر متمثلا بالابتعاد عن المحرمات، فقد روي عن عُمَر – رضي الله عنه– أنَّه قال (وجدنا خير عيشنا بالصبر) [235].

– الصبر على الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى:﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان:17]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: 34].

وأخبر سبحانه المؤمنين بوقوع الابتلاء فقال: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: 186].

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله– في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾[لقمان: ١٧] "علم أنَّ الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر

(235) صحيح البخاري (8/ 99)، باب الصبر عن محارم الله.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] أي: إنَّ الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور"[236].

- **الصَّبْرُ عِنْدَ الأذى والْغَضَبِ.**

قال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:96] في الآية أمر بأن يواجه المسلم الأذى من غيره بأن يدفع بالتي هي أحسن، والتي هي أحسن يحددها الحال والمآل، فإن رأى الدفع بالعفو أو السكوت أو امتصاص غضب الآخرين فيكون هو الأحسن.

ورب شخص يشكك في جدوى هذا الأسلوب من الدفع، إلا أنَّ الآية الآتية تنفي هذه الشبهه، قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] فمن خلق النفوس هو أعلم بما يصلحها وصدق الله إذ يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، وها هو النبي -صلى الله عليه وسلم- يتعرض للأذى فيصبر مستذكراً سيرة أولي العزم من الرسل قبله، فقد أمره الله تعالى أن يقتدي بصبرهم وثباتهم بقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

وفي صحيح البخاري: قال عبد الله[237]: قسم النبي -صلى الله عليه وسلم- قسمة كبعض ما كان يقسم، فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت: أما أنا لأقولن للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فأتيته وهو في أصحابه فساررته، فشق ذلك على النبي -صلى الله عليه وسلم- وتغير وجهه وغضب، حتى وددت أني لم أكن أخبرته، ثم قال: «قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر»[238].

---

(236) تفسير ابن كثير ت سلامة (6/ 338).

(237) قوله: قال عبد الله، هو بن مسعود ووقع في رواية سفيان عن الأعمش الماضية في باب من أخبر صاحبه بما يعلم بلفظ عن بن مسعود، ينظر: فتح الباري لابن حجر (10/ 512).

(238) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (6100) ، باب الصبر على الأذى، ينظر: صحيح البخاري (8/ 26).

المطلب الثالث

الأسباب المعينة على الصبر[239]

-المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد:4]، وقال: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:140].

-اليقين بحسن الجزاء:

قال الله تعالى: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت 58-59].

وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:10].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان – رضي الله عنه–قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «عجباً لأمر المؤمن، إنَّ أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له» [240].

-اليقين بالفرج:

قال الله تعالى: ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:128].

-الاقتداء بأهل الصبر والعزائم:

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود:120].

---

(239) ينظر: فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب – فصل في منزلة الصبر – (ص174)، كيف أتوب – السبب السادس شرف النفس وذكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها – (ص120).

(240) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (2999) ، باب المؤمن أمره كله خير، ينظر: صحيح مسلم (4/ 2295).

المطلب الرابع

المعوقات عن الصبر[241]

-الاستعجال:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾[الأحقاف:35].

وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: « والله ليتمنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» [242].

-الغضب:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القلم:48-50].

-شدة الحزن والضيق:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [النحل:127]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر:8].

-اليأس:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 139-140].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [محمد: 35].

---

(241) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية – الفصل الرابع ما يعين على الصبر– (ص202)، منطلقات طالب العلم – زبدة الكلام وخلاصة الختام – (ص107)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب – فصل في منزلة الرضا – (ص182).

(242) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (3612)، باب علامات النبوة في الإسلام، ينظر: صحيح البخاري (4/ 201).

المطلب الخامس

آثار تحقيق الصبر في حياة المسلم

- **القدرة على استيعاب واحتواء ما يتعرض له الشخص من أزمات وإشكالات خارجية أو داخلية**، سواء كان مصدرها المال أو الفرد، أو النفس، أو الشيطان.
- **التكيف مع الحوادث والمشاكل والأزمات** بصورة إيجابية غير سلبية.
- **ضبط النفس تجاه الحوادث والمشاكل والأزمات.**
- **التصرف بحكمة** وهذا ما يميز في كثير من الأحيان بين الصابر وغيره.
- **التعامل المتوازن مع الآخرين**، بحيث يتأقلم الشخص مع الأشخاص الذين يتعامل، أو سيتعامل معهم، ويتقبلهم، ويستوعبهم سواءً في الحي، أو العمل، أو السوق، أو أي مكان يتواجد فيه.
- **المسلم الصابر صاحب مشروع يعمل لأجل تطبيقه في الحياة**، ويقدم من حياته الحافلة بالصبر والإيمان نموذجًا وقدوة وأسوة، ويجعل أثرًا إيجابيًّا عن شخصيته الصابرة، وذكرى طيبة عن نفسه القوية المثابرة، ويصبح بذلك كوكبًا مضيئًا في سماء الأمة المؤمنة الصابرة.
- **الصبر يساهم في تكوين الشخصية القوية:** فالإنسان الذي لا يصبر ويتأثر بمجرد تعرضه لمشاكل بسيطة، يكون ضعيف الشخصية، أما الإنسان الذي يستطيع الصبر ومواجهة التحديات التي تعترضه يكون إنسان قوي الشخصية.
- **الصبر مصدر الوحدة والتماسك بين الناس:** فالصبر من الأخلاق السامية، الذي يساهم في تحقيق الوحدة بين الناس وتماسك مختلف فئات المجتمع الاسلامي. فلا يمكن المحافظة على تماسك الأسرة المسلمة إلا من خلال الصبر، وكذلك المحافظة على تماسك ووحدة الشعوب والأمة الإسلامية ككل.
- **الصبر سبيل إلى النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة**، والجزع وعدم الصبر سبيل إلى الفشل والخسران في الحياة الدنيا والآخرة. بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

فهرس الموضوعات

استـــــــــــــــهـــــــــــــــلال 3
إهـــــــــــــــــــــداء 4
الفصل الأول 6
دعاء نبي الله أيوب - عليه الصلاة والسلام- 6
في سورة الأنبياء 6
المبحث الأول 7
التأملات الإيمانية في قوله تعالى(آية الدعاء) 7
المطلب الأول 8
تفسير الآيات 8
المطلب الثاني 10
الفوائد والإرشادات المستفادة والمستنبطة من تأمل الآية 10
المطلب الأول 19
تفسير الآيات 19
المطلب الثاني 21
الفوائد والإرشادات المستفادة والمستنبطة من تأمل الآية 21
الفصل الثاني 27
دعاء نبي الله أيوب – عليه الصلاة والسلام- في سورة ص 27
المبحث الأول 28
التأملات الإيمانية في قوله تعالى(آية الدعاء) 28
المطلب الأول 29
تفسير الآيات 29
المطلب الثاني 30
الفوائد المستفادة من الآيات 30
المبحث الثاني 35
التأملات الإيمانية في قوله تعالى(آيات الإجابة) 35
﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ 35
المطلب الأول 36
تفسير الآيات 36
المطلب الثاني 39
الفوائد المستفادة والمستنبطة من الآيات 40
الفصل الثالث 46
أهم المضامين الإيمانية المستنبطة من قصة نبي الله أيوب – عليه السلام- وأثر تحقيقها في واقع الأمة 46
أهم المضامين الإيمانية المستنبطة من قصة نبي الله أيوب – عليه السلام– وأثر تحقيقها في واقع الأمة 47
المبحث الأول 48
المضمون الأول: الإيمان بالقضاء والقدر 48

المطلب الأول 49
أولاً : معنى القضاء والقدر في اللغة 49
المطلب الثاني 51
أولاً: مرتب الإيمان بالقضاء والقدر 51
المطلب الثالث 54
آثار الإيمان بالقضاء و القدر على المسلم 54
المبحث الثاني 58
المضمون الثاني: التوكل على الله 58
المطلب الأول 59
المطلب الثاني 61
المبحث الثالث 66
المضمون الثالث: من خلال الدعاء 66
المطلب الأول 67
المطلب الثاني 70
المطلب الثالث 74
المطلب الرابع 76
المبحث الرابع 81
المضمون الرابع: الصبر 81
المطلب الأول 82
المطلب الثاني 88
المطلب الثالث 91
المطلب الرابع 92
المعوقات عن الصبر 92
المطلب الخامس 93
آثار تحقيق الصبر في حياة المسلم 93